الكتاب : الموا عظ الشافية
المؤلف : الإمام الهادي إلى الحق الحسن بن يحيى بن علي القاسمي

الموا عظ الشافية

تاليف: الإمام الهادي إلى الحق الحسن بن يحيى بن علي القاسمي رحمه اللّه رحمة الأبرار

الطبعة الأولى
1417هـ. 1997م

تم الصف والإخراج بمركز النور للدراسات والبحوث
اليمن. صعدة ص. ب (90238)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين اللهم وصل وسلم على خاتم النبيئين وعلى عترته المتقين، تخلق بأخلاق المؤمنين واتصف بأوصاف المتقين والمجتبين والزم آداب رب العالمين وما وصف به عباده الصالحين وما ندب وأمر به في الذكر المبين، انته عما نهى عنه تفز مع الفائزين في جوار رب العالمين وخذ الجميع من الكتاب المنزل على خاتم النبيئين وفيه أن سمعت ووعيت ولو ما سرده الآن(1) شفاء من الداء العظيم فلازم تلاوة ذلك بتفكر وتدبر تفز إن شاء الله بالثواب الجسيم. هذا واقتبس رحمك الله مما تيسر لي من قول النبي والوصي صلى الله عليهما وعلى آلهما وما نقلته عنهما فهو من مجموع زيد بن علي ونهج البلاغة وأحكام الهادي وتيسير المطالب في أمالي أبي طالب وهو الغالب. وإذا سنح لي أن أذكر خبراً من

غير هذه الكتب ذكرت الكتاب الذي نقلته منه إن شاء الله وبالله الثقة والعون وسميت هذه: [بالمواعظ الشافية] شرح الأنوار الهادية إلى الجنة الشامخة العالية.

قال عليه السلام: وأنا مستمد ممن اطلع على هذا الدعاء لي بحسن الخاتمة والتسديد والتوفيق إن كنت حياً، وبالعفو والمغفرة إن كنت ميتاً، وأسأل الله العظيم أن يكافي من دعا لي بأضعاف ما دعا.

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(1) . لعلها: ولو ما أسرده الآن. و (ما) موصولة.

قوله تعالى: {الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون}[البقرة: 3]، معنى يؤمنون: يصدقون. وبالغيب: بما غاب عنهم نحو الصانع تعالى والبعث والجنة والنار، ويقيمون الصلاة: يؤدونها بحقوقها، وينفقون: أي في طاعة الله، وبما أنزل إليك: القرآن، وما أنزل من قبلك: الكتب التي أنزلت على الأنبياء، ويوقنون: يعلمون، فحكم الله لمن اتصف بهذه الصفات بالفلاح وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار وهذه البغية، {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز}، وتدل الآية على عظم الصلاة والإنفاق لذا قرنهما بالإيمان بما ذكر. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((حافظوا على الصلوات الخمس فإن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يدعو بالعبد فأول ما يسأله عن الصلاة فإن جاء بها تامة وإلا زج في النار))، وعنه صلى الله وآله وسلم: ((من أحسن صلاته حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة يستهين بها ربه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأنس: ((صل صلاة مودع ترى أنك لا تصلي

بعدها أبدا واضرب ببصرك موضع سجودك حتى لا تعرف من عن يمينك ولامن عن يسارك، واعلم أنك بين يدي من يراك ولا تراه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ترك الصلاة عن وقتها كفر))، وعن علي عليه السلام أنه سأله رجل: (ما إفراط الصلاة؟ قال: إذا دخل وقت الذي بعدها)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الصلاة قربان المؤمن))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد في الحسنات؟ قالوا: بلى، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة))، وعن علي عليه السلام: (صلاة الأوابين ثماني

ركعات عند الزوال قبل الظهر)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((التهجد هو نور تنور به بيتك))، وعن علي عليه السلام: (ركعتان في ثلث الليل الأخير أفضل من الدنيا وما فيها)، وعن علي عليه السلام: (من صلى من الليل ثماني ركعات فتح الله له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء)، وعن علي عليه السلام: (إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها)، وعن علي عليه السلام: (لا عبادة كأداء الفرائض)، وعن علي عليه السلام: (فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيها عن الكبر، والزكاة تسبيباً للرزق)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا أدَّيت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله فرض للفقير في مال الغني عن كل مائتين خمسة فمن منعهم ذلك فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين))، وعن علي عليه السلام: (الماعون: الزكاة)، وقال علي عليه السلام: (إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلا بمنع غني والله تعالى جده سائلهم عن ذلك)، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أن صدقة السر تطفي غضب الرب وإن الصدقة لتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار، فإذا تصدق أحدكم من يمينه فليخفها عن شماله فإنها تقع بيمين الرب وكلتا يدى ربي يمين فيربيها كما يربي أحدكم فُلُوَّهُ أو فصيله حتى تصير اللقمة مثل أحد))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من صدقة أعظم أجراً عند الله من صدقة على ذي

رحم أو أخ مسلم، قالوا: وكيف الصدقة عليهم، قال: صلاتكم إياهم بمنزلة الصدقة عند الله تعالى))، وعن علي عليه السلام: فأن (1) اشترى بدرهمين صاعاً من طعام فأجمع عليه نفراً من إخواني أحب إليَّ من أن أخرج

(1) . في مجموع الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام: لأن أخرج إلى سوقكم فأشتري صاعاً من طعام وذراعاً من لحم ثم أدعو نفراً من إخواني أحب إلي من أن أعتق رقبة. تمت مجموع طبعة قديمة ص 171.

إلى سوقكم هذا فاشترى به رقبة فأعتقها)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((تصدقوا فإن الصدقة فكاكم من النار))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يسخط (1) إليها))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لكل شيء زكاة وزكاة الدار بيت الضيافة))، وقال علي عليه السلام: (استنزلوا الرزق بالصدقة، من أيقن بالخلق جاد بالعطية، من يعطِ باليد القصيرة يعطَ بالطويلة)، وعن علي عليه السلام: (الإكتساب من الحلال جهاد وإنفاقك إياه على عيالك وأقاربك صدقة، ولدرهم حلال من تجارة أفضل من عشرة من غيره)، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجل خرج ضاربا في الأرض يطلب من فضل الله يعود به على عياله))، وقال علي عليه السلام: (من طلب الدنيا حلالاً تعطفاً على والد أو ولد أو زوجة بعثه الله ووجهه على صورة القمر ليلة البدر)، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول أو يكون عيالاً على الناس))، وقال علي عليه السلام لرجل يعظه: (إن كنت غنياً فأحسن وإن كنت فقيراً فاصبر وضع نفسك للحق وفر بها من الباطل ولا تتكل في معيشتك على كسب غيرك تنتظر ما يتصدق عليك).

(1) . لعله: لاينحط.

قوله تعالى: {وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً} [البقرة: 83]، الميثاق: العقد ويؤخذ من هذه الآيات الكريمة الإخلاص لله في العبادة وثبوت حق الوالدين إذ التقدير: وأحسنوا بالوالدين وكذا الإحسان ممن عطف عليهم، وقد قرن الله سبحانه الإحسان بمن ذكر بعبادته فلا يتساهل في ذلك مع هذا الترتيب، عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إني أريد الجهاد، فقال: (أحيٌّ أبواك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد)، وعن أبي ذر: أوصاني رسول الله صلى الله علي وآله وسلم بحب المساكين والدنو منهم وأن أصل الرحم وإن أوذيت، وقام إليه رجل فقال: يا رسول الله (1) أوصني. فقال: (بر والديك وإن أمراك أن تنخلع من مالك كله فافعل، قال: يارسول الله زدني. قال: بر والديك وإن أمراك ن تنخلع من مالك فافعل)، وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: دلني على عمل يدنيني من الجنة ويباعدني من النار؟ قال: (تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل ذات رحمك). فأدبر الرجل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن تمسك بما أمرته دخل الجنة))، وجاء رجل إليه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: (نعم، الصلاة عليهما والإستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما)، وقال رجل: يا رسول الله إن أهل بيتي أبوا إلا توثبا علي وقطيعة لي وشتيمة، أفأرفضهم؟ قال: (إذاً يرفضكم الله جميعاً، قال: فكيف أصنع؟ قال: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله ظهيراً) وقال رجل يا رسول الله: جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان؟ فقال: (ارجع إليهما فأضحكهما

---

(1) . في الأم: رسول اللّه . بحذف حرف النداء . ولعله غلط.

كما أبكيتهما)، وعن علي عليه السلام: (بر الوالدين وصلة الرحم واصطناع المعروف زيادة في الرزق وعمارة في الديار)، وأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال: (من أحق الناس مني بحسن الصحبة وبالبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أبوك، قال: ثم من؟ قال: أقاربك أدناك أدناك)، وعن علي عليه السلام قال: (إن الرجل ليكون باراً بوالديه في حياتهما فيموتان فلا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وإن الرجل ليكون عاقاً بهما في حياتهما فيموتان فيستغفر لهما فيكتبه الله باراً)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحب أن يملأ له في عمره ويبسط له في رزقه ويستجاب له الدعاء وتدفع عنه ميتة السوء فليطع أبويه في طاعة الله وليصل رحمه وليعلم أن الرحم معلقة بالعرش تأتي يوم القيامة بلسان طَلِقْ ذَلِقْ(1) تقول: اللهم صل من وصلني، اللهم اقطع من قطعني قال: فيجيبها الله إني قد استجبت دعوتك فإن العبد لقائم يرى أنه بسبيل خير حتى تأتيه الرحم فتأخذ بهامته فتذهب به إلى أسفل درك من النار بقطيعته إياها في دار الدنيا))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((النظر إلى وجوه الوالدين إعظاماً لهما وإجلالاً لهما عبادة))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من يضمن لي واحدة أضمن له أربعاً: من يصل رحمه فيحبه أهله ويكثر ماله ويطول عمره ويدخل جنة ربه)). (وأمرهم الله بأن يقولوا للناس حسناً)، وذلك القول الحسن والدعاء إلى الله برفق ولين. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أحبكم إليَّ واقربكم مني مجلساً في الجنة أحسنكم خلقا وإن أبعدكم مني منزلاً الثرثارون المتشدقون المتفيهقون، قالوا يارسول الله: فمن المتفيهقون؟ قال: المتكبرون))، وفي النهاية المتفيهقون: الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم مأخوذ من الفهق وهو الإمتلاء والاتساع، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((المؤمن من

---

(1) . أي فصيح وحاد.

أمنه الناس والمسلم من سلم الناس من يده ولسانه والمهاجر من هجر السوء))، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه))، انتهى. ولا شك أنه يحب المرء أن يُكَلَّم بقول حسن. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا، ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب للمؤمن ما يحب لنفسه))، وسيأتي لذلك إن شاء الله مزيد تأكيد.

قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين}[البقرة: 153]، أي استعينوا على مطالبكم الدنيوية والأخروية بهما، ومن الصلاة الدعاء لأنه يطلق عليه صلاة، ولا ينال ما عند الله إلا بالصبر. عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً ابتلاه فإذا ابتلاه فصبر كافأه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث من كن فيه حرم الله لحمه على النار وله الجنة: من إذا أصابته مصيبة استرجع، وإذا أنعم عليه حمد الله عند ذكره إياها، وإذا أذنب استغفر الله))، وقال: علي عليه السلام في صفة المؤمن: (المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه أوسع شيء صدراً وأذل شيء نفساً يكره الرفعة ويشنأ السمعة طويل غمه بعيد همُه كثير صمته مشغول وقته شكور صبور مغمور بفكرته ضنين بخلته (1) سهل الخليقة لين العريكة نفسه أصلب من الصلب وهو أذل من العبد)، وقال علي عليه السلام: (من رضي برزق الله لم يحزن)، وقال علي عليه السلام: (إن لم تكن حليماً فتحلم فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم)، وقال: (الصبر يناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان)، وقال عليه السلام: (أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل)، وقال عليه السلام: (لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان)، وقال عليه السلام: (لا إيمان كالحياء والصبر)، وقال عليه السلام: (الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عما تحب وعليك بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، لا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر

معه)، وقال عليه السلام: (الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد، فالصبر منها على أربع شعب على الشوق والشفق والزهد والترقب، فمن إشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات)، وقال

---

(1) . لعلها: ضنين بخلته.

عليه السلام لابنه الحسن: (وعود نفسك الصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر، التصبر على المكروه يعصم القلب، من حلم ساد)، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا}، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي: غم العيال ستر من النار وطاعة الخالق أمان من العذاب، والصبر على الفاقة جهاد، وأفضل من عبادة ستين سنة، وغم الموت كفارة للذنوب، واعلم يا علي أن أرزاق العباد على الله سبحانه وغمك لهم لا ينفع ولا يضر غير أنك تؤجر عليه وإن أغم الغم غم العيال))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم، وإن الرجل ليكتب جباراً وما يملك إلا أهل بيته))، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا إيمان كالصبر وآفة الحلم الغضب))، وكم ذكر الله سبحانه في كتابه في الصبر فعليك به وبالدعاء إلى الله سبحانه أن يرزقكه.

قوله تعالى: {ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون}[البقرة: 177]، حكم الله لمن تلبس بهذه الخصال الشريفة بأنهم متقون صادقون وقد وعد المتقين بالجنة فأتى سبحانه بالإشارة للبعيد للتعظيم والتأكيد وأكد ذلك بالضمير والتعريف والموصول وبالجملة الإسمية، فاستمسك بهذه

الخصال تنجو يوم القيامة من الأهوال، وقرن سبحانه إيتاء المال على حبه أي المال بالإيمان بالله وبما عطف عليه: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون}، {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}، وقدم سبحانه ذوي القربى لكونهم أحق، عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((صدقتك على قرابتك صلة وصدقة صدقتان))، وقال تعالى: {فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة}، أي مجاعة، {يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة}، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أضمنوا لي ستاً أ ضمن لكم على الله الجنة: أوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا أؤتمنتم واصدقوا إذا حدثتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وصلوا أرحامكم))، والصابرين في البأساء: شدة الفقر، والضراء: المرض، وحين البأس: وقت شدة القتال في سبيل الله، وكم أثنى الله ورسوله على الصبر: {وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون}، {واصبر وما صبرك إلا بالله}، والغالب على الخصال الشريفة أن تكون مقرونة بالصبر، عن علي عليه السلام سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الزهد ما هو؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي: مثل الآخرة في قلبك والموت نصب عينيك وكن من الله عز وجل على وجل وأد فرائض

الله واكفف عن محارمه ونابذ هواك واعتزل الشك والشبهة والطمع والحرص واستعمل التواضع والنصفة وحسن الخلق ولين الكلام واقنع بقبول الحق من حيث ورد عليك واجتنب الكبر والبخل والعجب والرياء ومشية الخيلاء ولا تستصغرن نعم الله وإن قلَّت وجاورها بالشكر واذكر الله في كل وقت واحمده على كل حال واعف عمن ظلمك وصل من قطعك وأعط من حرمك وليكن صمتك فكراً وكلامك ذكراً ونظرك اعتباراً وتحبب ما استطعت وعاشر الناس بالحسنى واصبر على النازلة واستهن بالمصيبة واعمل الفكرة في المقاد وأجعل شوقك إلى الجنة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر ولا تأخذك في الله لومة لائم وخذ من الحلال ما شئت إذا أمكنك وجانب الجمع والطمع واعتصم بالإخلاص والتوكل

وابن على اسس التقوى وكن مع الحق حيث ما كان وميز ما اشتبه عليك بعقلك فإنه حجة الله عليك ووديعته فيك وبرهانه عندك فذلك أعلام الهدى ومنهاجه والعاقبة للمتقين))، انتهى. فهذه الخصال الشريفة لا تنال أو بعضها إلا بالصبر وقد قرن صلى الله عليه وآله وسلم الصبر بهذه الخصال.

قوله تعالى: {سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، إولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين}، المعنى: بادروا إلى فعل يوجب لكم المغفرة والجنة وذلك التوبة وفعل الواجبات واجتناب الكبائر، ودلت أن الجنة للمتقين، ثم ذكر سبحانه صفاتهم وقدم الإنفاق في السراء وهو الرخاء والضراء وهو العسر لأن الإنفاق أشق على النفس وأدل على الإخلاص، والصفة الثانية: كظم الغيظ بالصبر عليه والحلم: {وإذا ما غضبوا هم يغفرون}، وعنه صلى اله عليه وآله وسلم: ((خيار أمتي هم الذين إذا غضبوا رجعوا)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي حور شاء))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من رد غضبه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره)). الصفة الثالثة: العفو عن الناس أي المسامحين لمن ظلمهم احتساباً: {فمن عفى وأصلح فأجره على الله}، {واعف عمن ظلمك}، والعامل بهذه الصفة القليل، وعن علي عليه السلام قال: (جد على عدوك بالفضل فتسخير العدو بالإحسان إليه أحد الظفرين، تجرع الغيظ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة، لن لمن غالظك فإنه يوشك ان يلين لك)، وقال عليه السلام في صفة المتقين: (المتقي مكظوماً غيظه يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه) ثم قال تعالى: {والله يحب

المحسنين}، أي يثيبهم ويكرمهم ويعظمهم. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من مؤمن أتاه أخاه المؤمن فسأله حاجة هو يقدر على قضائها فيرده عنها إلا قال الله يوم

القيامة: أتاك عبدي المؤمن في دار الدنيا فسألك حاجة قد ملكتك قضاها فرددته عنها لا قضيت لك اليوم حاجة))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه المسلم، ومن يسر على مسلم يسر الله عليه)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من مضى في حاجة أخيه المسلم فبالغ فيها قضيت أو لم تقض كتبت له عبادة سنة)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من عرف لكبير لسنه فوقره أمنه الله من فزع يوم القيامة))، وعنه صلى الله عله وآله وسلم: ((من أوجب المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أثبت الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ في الله، وذكر الله على كل حال))، وقال علي عليه السلام: فو الذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في إنحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل)) ثم قال تعالى: {والذين إذا فعلوا فاحشة}، أي ذنباً قبيحاً متزايداً فيه {أو ظلموا أنفسهم} بأي ذنب {ذكروا الله} أي وعيده أو جلاله {فاستغفروا} أي تابوا {ولم يصروا} أي لم يديموا {على ما فعلوا} بل أقلعوا {وهم يعلمون} أن الذي أتوه معصية {ونعم أجر العاملين} ترغيباً في الطاعة، وقوله: {أولئك}، يحتمل ان يكون أشارة إلى الفريقين فيكون الجميع فرقة واحدة، ويحتمل ان يكون والذين مبتدأه خبره أولئك فيكونا فرقتين فبين سبحانه أن الجنة للمتقين ولمن عصى ثم تاب، وقد قال صلى الاه عليه وآله وسلم: ((من قال استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه ثم مات غفرت ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر ورمل عالج))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من ختم يومه عشر مرات: استغفر الله العظيم

الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم إلا غفر الله له ما كان في يومه أو قالها في ليل إلا غفر الله له ما كان في ليلته))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من لزم الإستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((خير العبادة الإستغفار))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لكل داء دواء ودواء الذنوب الإستغفار))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واسغفراه غفر لهما))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((خير الدعاء الإستغفار، وخير العبادة قول لا إله إلا الله))، وهذا الإستغفار إنما هو مع الندم على ما كان منه والعزم على ترك أمثاله، ألا ترى إلى قول علي عليه السلام: (أشد الذنوب ما استهان به صاحبه)، وقوله: (إن الإستغفار درجة العليين وهو إسم واقع على ستة معان، أولها: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل ليس عليك تبعة، والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدى حقها، والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: أستغفر الله).

قوله تعالى: {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار}[آل عمران: 171]، المعنى أن في إيجادهما وألوانهما وتركيبهما وإمساك السموات وتزيين سماء الدنيا بالنجوم وبسط الأرض وما فيها من العجائب والنبات والجبال وتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وظلمة أحدهما وضياء الآخر، لآيات: دلالات على قدرته. لأولي الألباب: لذوي العقول، ثم وصف سبحانه ذوي العقول بأنهم يذكرون الله على كل حال ويحتمل الذكر باللسان ويحتمل

بالقلب والأكمل أن يكون بهما ويتفكرون في خلقهما ويقولون ربنا ..إلخ. وباطلاً: أي عبثاً بل دليل على كمال قدرتك ودليل على ربوبيتك. سبحانك: تنزيهاً لك عن خلق العبث. قال علي عليه السلام لبعض أصحابه في علة اعتلها: (جعل الله ما كان من شكواك حطاً لسيئاتك فإن المرض لا أجر فيه ولكنه يحط السيئات ويحتها حت الأوراق وإنما الأجر في القول باللسان والعمل بالأيدي والأقدام وإن الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة)، ففي هذا دلالة على ان الذكر باللسان فقط عبادة يثاب عليها. ودخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بعض أزواجه وعندها نوى العجوة تسبح عدده كل يوم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لقد قلت في مقامي هذا أكثر من كل شيء سبحت بهذا في أيامك كلها، قالت: وما هو يارسول الله؟ قال: قلت: سبحانك اللهم عدد ما أحصى كتابك وسبحانك زنة عرشك ومنتهى رضى نفسك))، وقال علي عليه السلام: (من سبح الله تعالى في كل يوم مائة مرة وحمده مائة مرة وكبره مائة مرة وهلله مائة مرة وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة دفع الله عنه من البلاءِ سبعين نوعاً أدناها القتل وكتب له من الحسنات عدد ما سبح سبعين ضعفاً ومحا عنه من السيئات سبعين

ضعفاً)، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح دبر كل صلاة عشراً ويحمد عشراً ويكبر عشراً فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمس مائة في الميزان، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثاً وثلاثين ويسبح ثلاثاُ وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف في الميزان))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قعد في مصلاه الذي صلى فيه الفجر يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له من الأجر كحاج بيت الله))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما عمل الآدمي عمل أنجى له من عذاب الله من كثرة ذكر الله))، وسئل صلى الله عليه وآله وسلم: أي الكلام أفضل؟ قال: (ما اصطفاه الله لملائكته أو

لعباده: سبحان الله وبحمده)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل: (ما غيبك عنا؟) قال: الفقر وطول السقم، فقال صلى اله عليه وآله وسلم: ((ألا أعلمك كلمات إذا قلتها أذهب الله عنك الفقر والسقم؟ قال: بلى، قال: إذا أصبحت وأمسيت فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله توكلت على الله الحي الذي لا يموت، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله هن الباقيات الصالحات وهن كنز من كنوز الجنة)، وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي: ألا أعلمك كلمة إذا وقعت في ورطة فقلتها؟ قلت: بلى، قال: إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلايا))، وعن ابن عباس أن الفقراء أتوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إن الأغنياء يصومون كما نصوم ويصلون كما نصلي ولهم أموال يتصدقون منها؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا صليتم فقولوا: سبحان الله

ثلاثاً وثلاثين والحمد لله ثلاثاً وثلاثين والله أكبر أربعاً وثلاثين فإنكم ستدركون من سبقكم وتسبقون به من بعدكم))، وعنه صلى الله علي وآله وسلم: ((من صلى صلاة الصبح ثم جلس في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له حجاباً أو ستراً من النار)) وعلم صلى الله عليه وآله وسلم أسماء بنت عميس شيئاً أمرها صلى الله عليه وآله وسلم تقوله عند الكرب: ((الله ربي ولا أشرك به شيئاً))، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة))، وأما التفكر فعنه صلى اله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا عبادة كالتفكر))، وفي الذكر أيضاً قال صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن أفضل الإيمان قال: ((أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله))، وعن أبي ذر أوصاني

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة ويدفع الله بها تسعة وتسعين باباً من أبواب البلاء أدناها وأيسرها الهم والحزن.

قوله تعالى: {ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً}[النساء: 32]، نهى سبحانه عن التحاسد أي لا تتمنوا ما لغيركم فإنها قسمة صادرة من حكيم فعلى كل أحد أن يرضى بما قسمه الله بين العباد من الأرزاق والجاه ونحوهما، للرجال نصيب أي ثواب مما اكتسبوا من أعمال البر ونصيب مما حازوه من ما فرض الله لهم من الميراث وغيره من نعيم الدنيا وللنساء كذلك، واسالوا الله من فضله ولا تتمنوا نصيب غيركم، عليماً: أي عليم بما يصلحهم وبالحكمة التي لأجلها فاضل. وعن علي عليه السلام: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((عليك يا علي باليأس عما في أيدي الناس فإنه الغني الحاضر، فقلت: زدني، فقال: إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، فقلت: زدني، فقال: إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن يك خيراً فاتبعه وإن يك غياً فدعه، ثم قال: يا علي إن من اليقين أن لا ترضى أحداً بسخط الله ولا تحمد أحداً على ما آتاك الله ولا تذم أحداً على ما لم يؤتك الله فإن الرزق لا يجره حرص حريص ولا يصرفه كراهة كاره إن الله بحكمته وفضله جعل الروح والفرح في الرضى واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط))، انتهى. فعليك بالرضى بقسمة الله تريح نفسك في الدنيا والآخرة. قال أمير المؤمنين:

... إذا يقضي لك الرحمن رزقاً ... يعد لرزقه المقضي بابا
... وإن يحرمك لا تسطع بحول ... ولا رأى يرجى له اكتسابا(1)
... فاقصر في خطاك فلست تعدوا ... بحيلتك القضاء ولا الكتابا

وقال عليه السلام:

... لا تعتبن على العباد فإنما ... يأتيك رزقك حين يؤذن فيه

... سبق القضاء بوقته فكأنما ... يأتيك حين الوقت أو تأتيه

... وثقن بمولاك اللطيف فإنه ... بالعبد أرأف من أب ببنيه

---

(1). في نسخة: ولارأي الرجال له اكتسابا.

... وأَشِعْ غناك وكن لفقرك صاينا ... تضني حَشَاكَ (1) وأنت لا تبديه

... فالحر يكتم جاهداً اعدامه ... فكأنما عن نفسه يخفيه

وقال عليه السلام: (لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله سبحانه أوثق منه بما في يده فليسأل العبد ربه)، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يقول الله عز وجل: ياعبادي كلكم جائع إلا من أشبعته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك في ملكي، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان ما سألني لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما ينقص من البحر أن يغمس فيه المخيط فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد شراً فلا يلومن إلا نفسه))، وقال علي عليه السلام في وصيته للحسن: (واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة وأمرك أن تسأله فيعطيك وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه.. إلى أن قال: فإذا ناديته سمع نداك وإذا ناجيته علم نجواك ومتى شئت دعوته فلباك فافضيت إليه بحاجتك وأبثثته ذات نفسك وشكوت إليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على أمورك وسألته من خزائن رحمته مالا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان وسعة الأرزاق ثم جعل في

يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مساءلته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمه واستمطرت شئآبيب رحمته فلا يقنطنك إبطاء إجابته فإن العطية على قدر النية وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً أو

---

(1) . الحشى: ما اضطمت عليه الضلوع.

صرف عنك لما هو خير لك فلرب أمرٍ قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته).

قوله تعالى: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله}[النساء: 37]، أرشد الله سبحانه في هذه إلى عشرة من الأخلاق الحسنة: الأول: عبادة الله وحده مخلصين له العبادة غير مرائين كقوله تعالى: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً}، {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}. الثاني: الإحسان بالوالدين وقد أكد الله سبحانه حقهم وكرره في القرآن: {وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً. أن أشكر لي ولوالديك. ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً} (1)، وقال سبحانه في الوالدين الكافرين: {وصاحبهما في الدنيا معروفا}، وقال علي عليه السلام: (الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما أجتنبت الكبائر وهي قوله تعالى: {إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين}، فسئل عليه السلام: ما الكبائر؟ فقال: قتل النفس المؤمنة وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وشهادة الزور وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واليمين الغموس). الثالث: وبذي القربى وهم قرابة النسب وقد أكد الله حقهم في غير موضع: {واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام}، وعنه صلى الله

عليه وآله وسلم: ((لا تزال أمتي يكف عنها البلاء ما لم يظهروا خصالاً: عملاً بالرياء وإظهار الرشا وقطع الأرحام وقطع الصلاة في جماعة وترك هذا البيت أن يؤم فإذا ترك هذا البيت أن يؤم لم يناظروا))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أفضلكم

---

(1) . في الأم: حسناً على قراءة نافع، كما هي قراءة أهل البيت وهي في الأحقاف آية 16.

إيماناً أحسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً المواصلون للأرحام الباذلون لمعروفهم الكافون لأذاهم العافون بعد قدرة))، الرابع: اليتامى وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يلي مسلم يتيماً فيحسن إليه في ولايته ويضع يده على رأسه إلا رفعه الله بكل شعرة درجة وكتب له بكل شعرة حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة))، وقال علي عليه السلام في وصيته للحسنين: (الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم)، الخامس: المساكين وقد أكد الله حقهم في غير موضع: {أو مسكيناً ذا متربة}، {ولا تحاضون على طعام المسكين}، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أيما مسلم أطعم مسكيناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة)). السادس: الجار ذي القربى أي القريب منك في الجوار وفي النسب. السابع: الجار الجنب أي البعيد عنك في الجوار أو في النسب. الثامن: الصاحب بالجنب وهو عام لمن التأمت بينك وبينه أدنى صحبة كرفيق الطريق وقريب الجوار والشريك في تعلم علم أو صناعة أو غير ذلك وكل قاعد بجنبك في مسجد أو غيره وكالزوجة فعليك ان ترعى لهم حقهم. عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لم يزل جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))، وقال علي عليه السلام في وصيته للحسنين: (الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم). التاسع: ابن السبيل. وهو الذي انقطع من بلده والإحسان إليه إيواؤه ومعونته وإعطاه حقه، وقيل: الضيف. العاشر: ما ملكت أيمانكم من الرقيق والبهائم، عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((حسن الملكة نماء وسوء

الخلق شؤم))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الرجل ليكتب جباراً وما يملك إلا أهل بيته))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أرقاؤكم أرقاؤكم لم ينجروا من شجر ولم ينحتوا من جبل أطعموهم مما تأكلون وأسقوهم مما تشربون وألبسوهم مما تلبسون))، ثم لما ذكر تعالى هذه الأصناف قال: {إن الله لا يحب من كان مختالاً

فخوراً}، المختال ذو الخيلاء والكبر وفخور أي فخور على الناس بما أوتي من الرزق وغيره، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((آفة الحسب الفخر))، لأن المختال يأنف من أقاربه إذا كانوا فقراء ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء فلا يحسن عشرتهم لكبره وتطاوله، ثم وصف المختال الفخور بقوله تعالى: {الذين يبخلون ...إلخ}، فيدل على قبح البخل بالعلم والدين والبخل بالمال وكتمان ذلك لأنه كفر للنعمة، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله يحب السخي فأحبوه ويبغض البخيل فأبغضوه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((السخاء شجرة أصلها [ثابتة] في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة ثابتة في النار وأغصانها في الدنيا فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى النار))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث منجيات وثلاث مهلكات قالوا يا رسول الله: ما المنجيات؟ قال: خوف الله في السر والعلانية كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والعدل في الرضى والسخط، والقسط في الغناء والفقر، قالوا يا رسول الله: فما المهلكات؟ قال: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فكوا العاني وأطعموا الجائع وعودوا المريض))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ولا غابت شمس يوم إلا وكل بجنبتها ملكان يناديان: اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أبلى بلاء [يعني معروفاً] فاتخذ عنده فلم يجد له جزاء إلا الثناء فقد شكره ومن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بباطل فهو كمن لبس ثوبي زور))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا

زاده الله بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزاً، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر لأن العفة خير))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

((من ضم يتيماً من بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر له ومن أذهب كريمتيه كان ثوابه عنده الجنة قيل: وما كريمتاه؟ قال: عيناه، ومن عال ثلاث بنات يرحمهن وينفق عليهن ويحسن أدبهن دخل الجنة، فقال له أعرابي يا رسول الله: أو اثنتين؟ قال: أو اثنتين))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من دخل السوق فحمل طرافه (1) إلى عياله كان كحامل صدقة وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنه من أقر بعين أنثى أقر الله عينه أو قال بعينه يوم الحزن، ومن فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله أسكنه الله الجنة))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله سبحانه يجمع فقراء هذه الأمة ومياسيرها في رحبة باب الجنة ثم يبعث منادياً فينادي من بطنان العرش: أيما رجل منكم وصله أخوه المؤمن في الله ولو بلقمة من خبز فليأخذ بيده على مهل حتى يدخله الجنة قال: وهم أعرف بهم يومئذ منهم بآبائهم وأمهاتهم قال: فيجيء الرجل منهم حتى يضع يده على ذراع أخيه المكرم له الواصل له فيقول يا أخي: أما تعرفني الست الصانع بي كذا وكذا يعرفه كل شيء صنعه به من البر والتحفة فقم معي فيقول: إلى أين؟ فيقول: لأدخلك الجنة فإن الله عز وجل قد أذن لي في ذلك فينطلق به آخذاً بيده لا يفارقه حتى يدخله الجنة بفضل رحمة الله عز وجل لهما وَمَنِّهِ عَلَيْهِمَا)).

---

(1) . أي من غريب الثمر.

قوله تعالى: {أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً}[النساء: 54]، هذه من أوصاف اليهود. أم: أي بل. والناس: النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون، والفضل: النبوة والإيمان والنصرة والغلبة

وغير ذلك. والملك العظيم: النبوة والإمامة ونحو ملك سليمان وما أبيح لداوود من التسع والتسعين من النساء ولسليمان قيل مائة وقيل ألف ما بين حرة وسرية، دلت هذه الآية أن الكتاب والحكمة والملك في آل إبراهيم ودلت على تحريم الحسد وأنه من أخلاق اليهود أخزاهم الله والحسد كراهة وصول النعم أو بقائها للغير لا لوجه يقتضي ذلك من عداوة أو غيرها وهو داء إن لم يدافعه العبد ربما أدى إلى معارضة الباري جل وعلا ومخالفة مراد الله لأن الله سبحانه أراد له النعمة والحاسد أراد زوالها كاليهود في حسدهم {ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض واسألوا الله من فضله}، {ومن شر حاسد إذا حسد}، ومع الحسد لا يمكن أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وسأل معاذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أفضل الإيمان فقال: ((أن تحب في الله وتبغض لِلَّه وتعمل لسانك في ذكر الله، قال: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أفشوا السلام بينكم وتواصلوا وتباذلوا))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب للمؤمن ما يحب لنفسه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((خمس لا يعذر بجهلهن أحد: معرفة الله أن يعرف الله ولا يشبهه بشيء ومن شبه الله بشيء أو زعم أن الله يشبهه شيء فهو من المشركين، والحب في الله والبغض في الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الظلم))، انتهى. ومع الحسد

يصعب الحب في الله فيدافعه بما أمكن من الرضا بقضاء الله ومن المواصلة وترك المقاطعة قال علي عليه السلام: (الإنقباض يجلب العدواة والخلطة تورث المحبة)، وقال عليه السلام: (شر أخلاق المرء الحسد)، وقال: (لا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)، وقال علي عليه السلام: (الحرص (1) والكبر والحسد دواعي إلى التقحم في الذنوب والشر جامع مساوي العيوب)، وقال: (الثناء بأكثر من الإستحقاق ملق،

والتقصير عن الإستحقاق عي وحسد)، وقال: (صحة الجسد من قلة الحسد)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله)، وقال: (حسد الصديق من سقم المودة))، وقال: ((العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل للرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام))، وروى الحاكم أبو سعيد في جلاء الأبصار بسنده عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب))، قال الحاكم: لأن الحسد هو أن يتمنى الإنسان زوال نعمة أنعم الله على عبد ويكرهه فإذا كره ما هو فعل الله وتمنى أن لم يكن فقد ارتكب كبيرة. انتهى.

---

(1) . الحرص: أن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك.

قوله تعالى: {ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً}[النساء: 110]، أي قبيحاً يسوء به غيره أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصي، وقد حث الله نبيه على الإستغفار فكيف بنا: {واستغفر لذنبك}، {واستغفره إنه كان توباً} {واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً}، ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم صاح إبليس وانطلق إلى تهامة فقال يا جبريل: هل إليه سبيل؟ قال: لا، هذا النبي المعصوم، قال: فإلى أمته؟ قال: إنهم يستغفرون فإذا استغفروا يغفر لهم، فخرج يولول. وقال حذيفة يا رسول الله: أحرقني لساني قال: ((يا حذيفة أين أنت من الإستغفار إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة))، وقال علي عليه السلام: (عجبت لمن يقنط ومعه الإستغفار) وقال: (كان في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه فرفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الأمان الباقي فالإستغفار، قال الله عز وجل من قائل: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله

معذبهم وهم يستغفرون}. انتهى. فعليك بالإستغفار ففيه خير الدنيا والآخرة وغفران الذنوب، قال هود عليه السلام: {ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم}، والقوة الأموال والأولاد وغيرهما، وقال نوح عليه السلام: {استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً}، وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: ((من لزم الاستغفار جعل اللّه له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لايحتسب)). وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((ما أعطي أحد أربعاً فمنع أربع: ما أعطي أحد الدعاء فمنع الإجابة، إن الله تعالى يقول: {ادعوني أستجب لكم}، وما أعطي أحد الإستغفار فمنع المغفرة إن الله يقول: {واستغفروا ربكم إنه كان غفاراً}، وما أعطي

أحد التوبة فمنع القبول لقوله تعالى: {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده}، وما أعطي أحد الشكر فمنع الزيادة لقوله تعالى: {لئن شكرتم لأزيدنكم})).

قوله تعالى: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف تؤتيه أجراً عظيماً}[النساء: 114] أي لا رضوان لله في كثير من تناجي الناس إلاَّ نجوى من أمر بصدقة أو معروف أي عمل بر أو إصلاح بين الناس لكن الشرط في حصول الأجر العظيم أن تكون هذه الثلاثة خالصة لوجه الله ولطلب مرضاته، ودلت الآية على الترغيب والأمر بالمعروف والإصلاح بين الناس، وأكده تعالى بقوله: {عظيماً} وأن النية شرط. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن يبلغ بها ما بلغ يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن يبلغ بها ما بلغ يكتب له الله بها سخطه إلى يوم القيامة)) وسئل صلى الله عليه وآله وسلم: أي الإسلام أفضل، قال: ((من سلم المسلمون من لسانه ويده))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((في صحف إبراهيم عليه السلام: وعلى العاقل أن يكون بصيراً في زمانه

مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلاَّ فيما يعنيه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلا الجنة لمن حسن خلقه))، وقال علي عليه السلام: (من ظن بعرضه فليدع المراء)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أعجب الناس إليَّ رجل يؤمن بالله ورسله يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعمر ماله ويحفظ دينه ويعتزل الناس))، وقال علي عليه السلام: (المرء مخبوء تحت لسانه)، وقال: (من كتم سره كانت الخيرة بيده)، وقال: اللجاجة تفل الرأي)، وقال عليه السلام: (طوبى لمن ذل في

نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من لسانه وعزل عن الناس شره ووسعته السنة ولم ينسب إلى البدعة) قال الرضى: ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقال علي عليه السلام: (اللسان سبع إن خلي عنه عقر) وقال عليه السلام: (إذا تم العقل نقص الكلام)، وقال: إذا ازدحم الجواب خفي الصواب)، وقال عليه السلام: (الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكم) وقال عليه السلام: (كان لي فيما مضى أخ في الله وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه وكان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد وكان أكثر دهره صامتاً فإن قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين وكان ضعيفاً مستضعفاً فإن جاء الجد فهو ليث عاد وصل واد لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضياً وكان لا يلزم أحداً على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاراً، وكان لا يشكو وجعاً إلاَّ عند برئه، وكان يقول ما يفعل ولا يقول ما لا يفعل، وكان وإن غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه، فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير)

انتهى. وقال عليه السلام: (من كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياءه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار، ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثُمَّ رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه، القناعة مال لا ينفد، ومن أكثر ذكر رضي من الدنيا باليسير ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلاَّ فيما يعنيه)، وقال عليه السلام: (الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فإذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك لنفسك فرب كلمة سلبت نعمة)، وقال: (في الصمت سلامة من الندامة وتلافيك فيما فرط من صمتك

أيسر من إدراك ما فات من منطقك حفظ ما في الوعاء بشد الوكا ولا تحدثن إلاَّ عن ثقة فيكون كذاباً والمرءِ أحفظ لسره، ومن أكثر أهجر)، وقال عليه السلام: (إياك أن تذكر من الكلام قذراً وأن يكون مضحكاً وإن حكيت ذلك عن غيرك)، وقال عليه السلام: (قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه)، وقال عليه السلام: (ما مزح رجل مزاحة إلاَّ مج من عقله مجة)، وقال: (علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك وأن لا يكون في حديثك فضل عن علمك)، وقال عليه السلام: (لاخير في الصمت عن الحكم كما أنَّه لا خير في القول بالجهل)، وقال: (بكثرة الصمت تكون الهيبة)، وقال: (الأقاويل محفوظة)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة: ما بين لحييه وما بين رجليه قالها ثلاثاً))، وقال علي عليه السلام للحارث: (ولا تحدث الناس بكلما سمعت فكفى بذلك كذباً ولا ترد على الناس كلما حدثوك به فكفى بذلك جهلاً)، وعن علي عليه السلام في وصيته للحسنين: (أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((صلاح ذات البين أفضل عند الله من عامة الصلاة والصيام).

قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا

أو تعرضوا فإن الله بما تعملون خبير}[النساء: 135] المعنى قوامين بالقسط مجتهدين في إقامة العدل حتى لا يجوروا تقيمون شهاداتكم لوجه الله ولو كانت على أنفسكم وذلك بالإقرار والشهادة على الوالدين والأقربين فقوموا بالعدل والإنصاف لكل أحد وعلى كل أحد إن يكن المشهود عليه غنياً فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلباً لرضاه أو فقيراً فلا تمنعها ترحماً عليه، الله أولى بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما فلا تتبعوا الهوى ولكن اتبعوا أمر الله؛ لأن لا تعدلوا عن طريق الحق فتسلكوا طريق الباطل، أوفلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس، فقوله تعالى: {إن تعدلوا} يحتمل العدل والعدول كما ذكرنا، وأن تلووا ألسنتكم فلا تفصحوا بهما أو تحرفوا، أو مأخوذ من لي الغريم أو تلووا أعناقكم كما(1) أمركم الله، أو تعرضوا عن إقامتها فإن الله كان بما تعملون خبير فيجازيكم فهو تهديد ووعيد، دلت هذه الآية الكريمة على وجوب الإنصاف من النفس وقول الحق، وعلى تحريم الشهادة بغير الحق والإعراض عن أداء شهادة الحق فيأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لاتزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت وإذا حكمت عدلت وإذا استرحمت رحمت))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي الجنة، وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عنه الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله

(1) . لعلها عما أمركم الله. تمت

كذاباً))، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يقول الله عز وجل: يا ابن آدم ما تنصفني أتحبب إليك بالنعم وتتمقت إلى بالمعاصي، خيري إليك منزل وشرك إلى صاعد،

ولا يزال ملك كريم حتى يأتيني عنك في كل يوم وليلة بعمل قبيح، يا ابن آدم، لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تدري من الموصوف لسارعت إلى مقته))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((اضمنوا لي ستة أضمن لكم الجنة: لا تظلموا عند قسمة مواريثكم ولا تغلو غنائمكم ولا تجبنوا عن قتال عدوكم وامنعوا ظالمكم من مظلومكم وأنصفوا الناس من أنفسكم ولا تحملوا على الله ذنوبكم))، وقال علي عليه السلام في وصيته للحسن عليه السلام: (يا بني، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك)، وسئل علي عليه السلام: أيما أفضل العدل أو الجود؟ فقال: (العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها عن جهتها والعدل سائس عام والجود عارض خاص فالعدل أشرفهما وأفضلهما).

قوله تعالى: {لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلاَّ من ظلم وكان الله سميعاً عليما إن تبدوا خيراً أو تخفوه أوتعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً} [النساء: 148] أي لا يحب الله ذم الغير بإظهار فضائحه وما فعل من القبيح بل يستر عليه إلاَّ من ظلم فلا يعاقب على الشكاء من ظالمه ولا يعاقب على استنصاره لنفسه، قال تعالى: {ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل} وكذا يدخل في عموم الآية أنه سبحانه لايحب النطق بالقبيح من سب ما لايستحق ذلك، أو النطق بكلمة الكفر وغير ذلك إلا من اضطر إلى ذلك كفعل عمار قال تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان}، وقال علي عليه السلام لأصحابه: (أما إنَّه سيظهر عليكم بعدي رجل... إلى قوله: وأنه سيأمركم بسبي والبراءة مني فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تبرأوا مني..

الخ)، ثُمَّ حث تعالى على العفو وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الإنتصار حثاً على الأحب والأفضل فقال: {إن تبدوا خيراً} ويدخل في عمومه إظهار العفو أو تخفوه ويدخل فيه كتمان العفو، ثُمَّ قال تعالى: {أو تعفوا عن سوء} نالكم من الغير وخصه بالذكر وقد دخل في الخير تنبيهاً على أن مكان العفو أفضل وكان الدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه، قوله تعالى: {فإن الله كان عفواً قديراً} أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الإنتقام فعليكم أن تقتدوا مع ضعفكم بسنته، عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يكون المرء مؤمناً حتى يكون وصولاً ولا يكون مسلماً حتى يسلم الناس من يده ولسانه، ولا يكون عالماً حتى يكون بالعلم عاملاً، ولا يكون عابداً حتى يكون ورعاً ولا يكون ورعاً حتى يكن زاهداً، اطل الصمت وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن السوء إذا فشا في الأرض فلم تتناه عنه أرسل الله بأسه على أهل الأرض، قالت أم سلمة يا رسول الله:

وفيهم الصالحون؟ قال نعم: وفيهم الصالحون يصيبهم ما أصاب الناس ثُمَّ يقبضهم الله عز وجل إلى مغفرته ورضوانه أو إلى رضوانه ومغفرته))، وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أوصيك بتقوى الله العظيم وأن تموت خفيف الظهر من دماء المسلمين خميص البطن من أموالهم كافاً عن أعراضهم ملازماً لجماعتهم ولا تدعن عليك ديناً فينقص من حسناتك))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((المجالس بالأمانات إلاَّ ثلاثة: مجالس سفك دماء حرام، وانتهاك فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق))، وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من أربى الربا الاستطالة في عرض مسلم بغير حق))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال ماليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تل من النار))، وقال علي عليه السلام: (من بالغ في الخصومة أثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع أن يتقي من خاصم ما أهمني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي كعتين وأسأل الله العافية) وفي حديثه عليه السلام أن للخصومة قحماً يريد بالقحم المهالك. وقال

رجل من الخوارج لعلي عليه السلام: قاتله الله كافراً ما أفقهه فوثب القوم ليقتلوه. فقال علي عليه السلام: (رويداً إنَّما هو سب بسب أو عفو عن ذنب). قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قومٍ على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون} [المائده:8]، المعنى: قوامين لله بجميع حقوقه من الأمر بالمعروف والعمل به والنهي عن المنكر وتجنبه شهداء بالعدل مع العدو والصديق ولا يحملنكم بعض قوم على أن لا تعدلوا فتنالوا منهم لعداوتهم ولا تنصفوا اعدلوا في الولي والعد وهو أي العدل أقرب للتقوى أي إلاَّ أن يكونوا متقين، دلت على وجوب القيام لله بالحق والشهادة بالعدل لمن كان والعدل في الحكم والفتيا. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث من كن فيه فقد استكمل

الإيمان: من الذي إذا قدر لم يتعاطى ما ليس له بحق، ومن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، ومن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحسن فيما بقي تجاوز الله عنه فيما مضى، ومن أساء فيما بقي أخذ فيما مضى وبقي))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله))، وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لاتدع شيئاً اتقاءً لله إلا أعطاك اللّه خيراً منه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((استحيوا من الله حق الحياء قالوا يا رسول الله: إنا نستحي والحمدلله، قال: ((ليس ذاك ولكن من استحيا من الله حق الحيا فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلا ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحيا))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما ترك عبد شيئاً من خوف الله تعالى أو رجائه إلاَّ أعقبه الله لذة يجد فرحتها في قلبه ويبدله به خيراً منه في الدنيا والآخرة))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من هم بحسنة فعملها كتب له عشر حسنات وإن لم يعملها كتب له حسنة واحدة، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه شيء))، وقال علي

عليه السلام في عهد للأشتر: (انصف الله وانصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إلاَّ تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده...إلى أن قال: وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية)، وقال عليه السلام: (بالسيرة العادلة يقهر المناوي)، وقال عليه السلام: (العدل الإنصاف). قوله تعالى: {لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون} [المائدة:78]، قيل: إن أهل إيلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم، واجعلهم آية فمسخوا قردة، ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة لعنهم فأصبحوا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك اللعن الذي كان سبب المسخ لأجل المعصية والإعتداء ثُمَّ فسر المعصية والإعتداء بقوله: {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه}، أي عن معاودته فيحتمل أنَّه بمعنى الإنتهاء أي كانوا لا يتناهون ويكفون عن المعصية إذا نهوا ويحتمل أنَّه من النهي أي لا ينهى بعضهم بعضاً، وهو قول الجمهور، لأن اللام للقسم كأنه قال: أقسم لبئس ما كانوا يفعلون للتعجب من فعلهم مؤكداً ذلك بالقسم، دلت هذه الآية على عظم معصية التارك للنهي عن المنكر ويدل على ذلك قوله تعالى: {لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون}، كان علماء أهل الإنجيل وأحبار اليهود أو الربانيين من اليهود وهم الزهاد منهم وأحبارهم الذين هم علماؤهم جعلوا إثم من مرتكبي المناكير، لأن كل عامل لا يسمى صانعاً حتى يتمكن فيه ويتدرب فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالاً من المواقع، عن ابن عباس: هي أشد آية في القرآن، وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: ((لا يحل لعين ترى الله يعصي فتطرف حتى تغير أو تنتقل))، وعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: ((لا قدست أمة لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر ولا تأخذ على يد ظالم ولا تعين المحسن ولا ترد المسيء عن إساءته))، وعنه صلى

الله عليه وآله وسلم: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثُمَّ يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يمنعن أحدكم مخافة أن يتكلم بالحق إذا رآه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من رجل يجاور قوماً فيعمل بين ظهرانيهم بالمعاصي فلا يأخذوا على يديه إلاَّ أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من امرئ يخذل امرءاً

مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وتنتقص فيه من عرضه إلاَّ خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلاَّ نصره الله في موطن يحب فيه نصرته))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من اغتيب عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة وإن ترك نصرته وهو يقدر عليها خذله الله في الدنيا والآخرة))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أنكر المنكر بقلبه فقد أنكر بخصلة من الحق، ومن أنكر بقلبه ولسانه فقد أنكر بخصلتين من الحق ومن أنكر بقلبه ولسانه ويده فقد أنكر بالحق كله))، وعن علي عليه السلام: (إنما هلك من كان قبلكم بارتكابهم المعاصي ثُمَّ لم ينههم الربانيون والأحبار فلما فعلوا ذلك نزلت بهم العقوبات ألا فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم أجلاً ولا يدفع رزقاً)، وقال علي عليه السلام: (يكون في آخر الزمان قوم نبع فيهم قوم مراؤن فيتقرون ويتنسكون لا يوجبون أمراً بالمعروف ولا نهياً عن المنكر إلاَّ إذا أمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير ويتبعون زلات العلماء وما لا يضرهم في نفس ولا مال، فلو أضرت الصلاة والصيام وسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها وقد رفضوا أسنم الفرائض وأشرفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها التئآم الفرائض، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين فريضة تقام بها الفرائض وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وتنتصف من الأعداء فأنكروا المنكر بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة

لائم)، قال: (وأوحى الله إلى نبي من أنبيائه: إني معذب من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم؟ فقال يا رب: هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي). وعن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال موسى بن عمران عليه السلام لله تبارك وتعالى: يا رب، من أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلاَّ ظلك؟ قال فأوحى الله تعالى إليه: الظاهرة قلوبهم البرية أيديهم الذين يكتفون بطاعتي كما يكتفي الطفل الصغير باللبن الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوى الطيور إلى أوكارها الذين يغضبون لمحارمي إذا استحلت كالنمر إذا طرد)).

قوله تعالى: {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون} [الأنعام: 69]، يخوضون أي يجولون في آياتنا أي القرآن ودلائلنا بالاستهزاء فلا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وقوله: {وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى}، أي أنساك بعد نهينا إياك عن الجلوس فلا تقعد بعد أن تذكر نهينا لك أولا تقعد بعد أن ذكرناك بالوحي قبحها أو لا تقعد بعد أن نذكرهم بالوعظ وعليك القيام بعد ذلك، دلت الاية الكريمة على وجوب الإعراض عن مجالسة المستهزئين بآيات الله أو بحججه أو برسوله وجواز مجالسة الكفار مع عدم الخوف وكذلك تدل على المنع من مجالسة الفسقه إذا أظهروا المنكرات ودلت أن الناسي مرفوع عنه الحرج، وقوله تعالى: {وما على الذين يتقون}، أي ليس على المجالسين وهم متقون من حساب الخائضين شيء، ولكن ذكرى أي عليهم أن يذكروهم بوعد الله ووعيده ووعظهم أو القيام عنهم وإظهار الكراهة لفعلهم لعلهم يتقون ما لا يتقوه الخائضين أو لعل الخائضين يتقون الخوض فعليك بترك مجالسة العاصي ومسامرة من هو متضمخ بالمعاصي لا يرعوى عن الخوض في آيات الله وأعراض العلماء والصلحاء، بل ذكرهم إن أمكن واتركهم

بعد إلاَّ أن يتركوا قال تعالى: {أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزؤ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم}، ومن خاض في أعراض

العلماء لأجل ما علموا أو عملوا من آيات الله فحكمه كذلك وقد قال علي عليه السلام: (الناس أعداء ما جهلوا)، وأسأل الله أن يعصمني وإخواني عن الخوض في آيات الله وفي أعراض الأئمة والعلماء، وأن يرزقنا معرفة حقهم وحق سائر المؤمنين وأن يقينا شرور أنفسنا الأمارة بالسوء الطالبة للعلو المستقبحة من الغير مالا تستقبحه منها وما أحسن قول علي عليه السلام وأنا لهذه النفس التنقط له والإنقياد لمحاسنه قال لرجل سأله أن يعظه: (لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجى التوبة بطول الأمل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين أن أعطي منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي ويأمر بمالا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو أحدكم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له، إن سقم ظل نادماً وإن صح أمن لاهياً يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي إن أصابه بلاء دعا مضطراً وإن ناله رخاء أعرض مغتراً تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه أكثر من عمله إن استغنى بطر وفتن، وإن افتقر قنط ووهن، يقصر إذا عمل ويبالغ إذا سأل إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوف التوبة وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة، يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ فهو بالقول مدل، ومن العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرماً، والغرم مغنماً يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن، اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولايحكم عليها لغيره ويرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولايوفي ويخشى الخلق في غير ربه ولايخشى ربه في خلقه)) انتهى. وعن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((مثل الجليس الصَّالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك منه شيء أصابك من دخانه)) . وقوله تعالى: {ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم}(1)، أي لاتسبوا الذين يعبدون وهي الأصنام فيسبوا من أمركم بعيب الأصنام ومن يعبدها، أو لاتسبوا الأصنام فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدونه كما سببتم ما يعبدونه عدواناً وتجاوزاً عن الحد بغير علم، وفي هذه الآية أدب عظيم ودلالة على أن على المحق أن يكف عن سب السفهاء لئلا يسارعوا إلى سبه مقابلة له لأنَّه بمنزلة البعث على المعصية ولايسب ظالماً عند ولده لخشية أن يسب والده الصَّالح فهو منكر لأدائه إلى منكر ولايجوز مسابة المؤمن بالأولى لأنَّه سب لمؤمن وأذية لمؤمن. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقى ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار من الخيلاء فالخيلاء لايحبها الله عز وجل، وإن امرئ سبك بما لايعلم فيك فلا تسبه بما تعلم فيه فإن أجره لك ووباله على من قاله)). وقال علي عليه السلام: (مامن يوم يمر على ابن آدم إلاَّ ينادي: يا ابن آدم اعمل في اليوم أشهد لك يوم القيامة واصحب الناس بأي خلق شئت يصحبوك بمثله).

---

(1) . الأنعام: 108.

قوله تعالى: {وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون}(1)، أي اتركوا علانيته وسره، وقيل: ظاهره أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب، وحملها على الكل أولى للعموم، ويقترفون أي يكسبون، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ابن آدم: اكفل لي بثلاث أكفل لك بالجنة: إن قنعت بما رزقك اللّه فأنت أغنى الناس، وإن انتهيت عما حرم الله عليك فأنت أورع الناس، وإن عملت بما فرض الله عليك فأنت

أعبد الناس)). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لايكون العبد مؤمناً حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه والسيد عبده ويعلم ما مطعمه وما مشربه وما ملبسه أمن حلال ذلك أم من حرام)) . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ياعلي حب الدنيا سلوة عن الآخرة وحب الآخرة سلوة عن الدنيا وحب طاعة اللّه أمان من معصيته، وحب معصية اللّه إذهاب عن طاعته، ياعلي إذا أحزنك أمر فقل: لاحول ولاقوة إلا بالله، فإنه كنز)). وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((الإسلام لباسه الحياء وزينته الوفاء ومروته العمل الصالح وعماده الورع ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو مع امرأة ليست له بمحرم فإن ثالثهما الشيطان إلا امرأة يحرم عليه نكاحها من نسب أو صهر)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من استلقى على المأثور ولبس المشهور وركب المنظور وأكل الشهوات لم يرح رائحة الجنة أبداً)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات لايعرفهن كثير من الناس فمن تركهن استبرأ من الدنية ومن واقعهن واقع الحرام)). وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((إذا ظهر القول واختزن العمل وائتلفت الأنفس واختلفت القلوب وتقاطعت الأرحام هنالك لعنهم اللّه فأصمهم وأعمى أبصارهم)). وعنه صلى اللّه عليه وآله

---

(1) . الأنعام: 120.

وسلم: ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((المسألة لاتحل إلا من إحدى ثلاث: رجل

حمل حماله عن قومه أراد الإصلاح فسأل حتى إذا بلغ أمسك، ورجل أصابته جائحة فسأل حتى إذا أصاب قواماً أو سداداً أمسك، ورجل أصابته فاقة فسأل حتى إذا أصاب قواماً أو سداداً أمسك، وما سوى ذلك من المسألة سحت)) يرددها ثلاثاً. وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من آوى ضالة فهو ضال ما لم يعرفها)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم : ((ثلاثاً أخافهن على أمتي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم : ((من لبس ثوب شهرة ألبسه اللّه ثوب مذلة في الآخرة وألبسه ثوباً من نار)). وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم في قول اللّه تبارك وتعالى: {هو أهل التقوى وأهل المغفرة} قال: ((يقول اللّه تعالى: أنا أهل أن أتقى فلا يشرك معي غيري، وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بي أن أغفر له)). وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم : ((إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)) . وسئل صلى اللّه عليه وآله وسلم : أي الذنب أعظم؟ قال: ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قيل: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. قيل: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك)). وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لايحب اللّه الشيخ الجهول ولا الغني الظلوم ولا السائل المختال)) ، وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من اجتنب من الرجال أربعاً فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء: الدماء والأموال

والفروج والأشربة، ومن النساء إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت زوجها فتحت لها أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لاتكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن أساؤا أسأنا ولكن وطنوا أنفسكم على أنه إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا فلا تظلموا)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لايموتن أحدكم وعليه دين فإنه مفتاح كل مظلمة إنه ليس هناك إلا الحسنات وإلا السيئات وليس هناك دينار ولا درهم)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من عامل الناس فلا يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو

ممن كملت مروته، وظهرت عدالته، ووجب أجره، وحرمت غيبته)). وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من ظلم منكم مظلمة ثم لم يرض صاحبها منها اقتص اللّه منه يوم القيامة)) . وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((إياكم والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة)) . وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم : ((إياكم والظلم فإنه يخرب قلوبكم كما تخرب الدور)) .
وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم لي: ((أوصيك بتقوى اللّه العظيم وأن تموت خفيف الظهر من دماء المسلمين خميص البطن من أموالهم كافاً عن أعراضهم ملازماً لجماعتهم ولاتدعن عليك ديناً فينقص من حسناتك)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم : ((لرد دانق من حرام يعدل عند اللّه سبعين حجة مبرورة)) ، وعن عبد اللّه بن مسعود قال: لعن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم آكل الربا وشاهديه وكاتبه والواشمة والموشومة والمحلل والمحلل له ومانع الصدقة))، ونهى عن النوح ولم يلعن. وقال واثلة: يارسول اللّه ما العصبية؟ قال: ((أن تعين قومك على الظلم)). وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من استذل مؤمناً أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهره اللّه يوم القيامة ثم يفضحه)). وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم : ((يقول اللّه عز وجل: من أهان لي

ولياً فقد برز لمحاربتي وما تقرب إلي عبد بشيء هو أحب إلي مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته)). وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم : ((إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قيل: يارسول اللّه هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: لأنه أراد قتل صاحبه)). وقال علي عليه السلام: (لامال أعود من العقل، ولاوحدة أوحش من العجب، ولاعقل كالتدبير، ولاكرم كالتقوى، ولاقربى كحسن الخلق، ولاميراث كالأدب، ولاقائد كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح، ولاربح كالثواب، ولاورع كالوقوف عند الشبهة، ولازهد كالزهد في الحرام، ولاعلم كالتفكر، ولاعبادة كأداء الفرائض، ولا إيمان كالحياء والصبر، ولاحسب كالتواضع،

ولاشرف كالعلم، ولاكنز كالحكمة، ولامظاهرة أوثق من المشاورة إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم يظهر منه خزية فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن الرجل الظن برجل فقد غرر). وقال عليه السلام: (كم من مستدرج بالإحسان إليه ومغرر بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى اللّه أحداً بمثل الإملاء له). وقال عليه السلام: (من قصر في العمل ابتلي بالهم ولا حاجة لله فيمن ليس لله في نفسه وماله حق ونصيب). وقال عليه السلام: (من ضرب بيده على فخذه عند مصيبة حبط أجره). وقال عليه السلام: (الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به وإثم الرضى به). وقال عليه السلام: لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، ترك الذنب أهون من طلب التوبة، احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك، وما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة. وقال عليه السلام: من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء اللّه ساخطاً، ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد

أصبح يشكو ربه، ومن أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه، ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات اللّه هزؤا، ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط منها بثلاث: هم لايغبه وحرص لايتركه وأمل لايدركه، كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً. وقال عليه السلام: اتق اللّه بعض التقى وإن قل واجعل بينك وبين النار ستراً وإن رق. وقال عليه السلام: الجاهل المتعلم شبيه بالعالم، وإن العالم المتعنف شبيه بالجاهل. وقال عليه السلام: اتقوا معاصي اللّه في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم، أقل ما يلزمكم اللّه أن لاتستعينوا بنعمه على معاصيه. وقال عليه السلام: أشد الذنوب ما استهان به صاحبه. وقال: من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله. وقال عليه السلام: لاتقل ما لاتعلم فإن اللّه سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة، احذر أن يراك اللّه عند معصيته ويفقدك عند طاعته، وإذا

ضعفت فأضعف عن معصية الله. وقال عليه السلام: احزن على أنك لاتحزن ولاتسيء إن كنت لاتحسن، واضعف عن الشر كما تدعي ضعفاً عن الخير وقد تمكن. وقال عليه السلام: ما خير بخير بعده النار ولا ما شر بشر بعده الجنة وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وإن من النعم سعة المال وأفضل من سعة المال صحة البدن وأفضل من صحة البدن تقوى القلب.

قوله تعالى: {قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولاتقتلوا النفس التي حرم اللّه إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد اللّه أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا لاسبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون}[الأنعام: 153]. قال في الكشاف: عن ابن عباس: هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، وقيل: إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار. وعن كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة. انتهى. المعنى: تعالوا: أي أقبلوا. أتل: أي أقرأ. أن لا: يحتمل أن تكون (أن) مفسرة لما في التلاوة وفي(1) معنى القول، ولا: ناهية ليصح عطف الإنشاء على الإنشاء، ويحتمل أن تكون لا زائدة، وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على إحدى عشر نكتة: الأولى: قوله تعالى: {أن لاتشركوا به شيئاً} فيلزم من ذلك وجوب إخلاص النية له تعالى، وأن لايتعلق بفعل العبادة غرض سوى فعلها لله تعالى، وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لايقبل اللّه صلاة بغير طهور ولاصدقة من غلول ولا عملاً في ريا)) ، وقال علي عليه السلام: إنه لاينفع عبد وإن أجهد نفسه وأخلص فعله أن يخرج من الدنيا لاقياً

ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها: أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته أو يشفي غيظه بهلاك نفس أو يقر بأمر فعله غيره أو يستنجح حاجة إلى الناس بإظهار بدعة في دينه أو يلقى الناس بوجهين أو يمشي فيهم بلسانين. انتهى. الثانية: قوله

---

(1). كذا والصواب: لما في معنى التلاوة من معنى القول، ولعله غلط من الناسخ. تمت.

تعالى: {وبالوالدين إحساناً} والمراد وأحسنوا بالوالدين إحساناً وهذا يدل على رحمة اللّه للوالدين إذ أمر بالإحسان إليهما إذ ليس أحد أحق بالإحسان منهما لأن الوالد شفيق على ولده، ويكون عنده بمنزلة كبده فأراد اللّه من عباده الرحمة للوالدين بما فعلا من الجميل والإحسان وكفلا بتعب النفوس والأبدان. الثالثة: قوله تعالى: {ولاتقتلوا أولادكم من إملاق} والإملاق: الفقر، أي من خوفه. وعن عبد اللّه سألت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: أي الذنب أعظم؟ قال: ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك..)) الخبر. ثم قال تعالى: {نحن نرزقكم وإياهم} وهذا ضمان جميل من اللّه سبحانه لأرزاق عباده الكفيل والمكفول فلا يهولنك مع ضمانه سبحانه كثرة الأولاد من ذكور وإناث فلن يعدوا أحداً منهم ما كتب له ولن يموت حتى يستوفي رزقه فعليك بالتوكل على اللّه في رزقك ورزق من تخلف ولاتكترث فكفى بأخبار اللّه وثيقة. وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من أمسى وأصبح والآخرة أكبر همه جعل اللّه الغنا في قلبه وجمع له أمره، ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه جعل اللّه الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره، ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له)) ، وعن علي عليه السلام: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد اللّه عز وجل أوثق منه بما في يده. وقال عليه السلام: الناس في الدنيا عاملان: عامل في الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته يخشى على من يخلف الفقر ويأمنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره، وعامل عمل في الدنيا

لما بعدها فجاء الذي له من الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً وملك الدارين جميعاً فأصبح وجيهاً عند اللّه لايسأل اللّه شيئاً فيمنعه. وقال عليه السلام: اعلموا علماً يقيناً أن اللّه لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدت

طلبته وقويت مكيدته أكثر مما سمى له في الذكر الحكيم، ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين أن يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم، والعارف بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعته، والتارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلاً في مضره. وقال عليه السلام: الرزق رزقان: فرزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك فلاتحمل هم سنتك على هم يومك كفاك كل يوم مافيه، فإن تكن السنة من عمرك فإن اللّه تعالى جده سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك، ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب، ولن يبطي عنك ما قدر لك. وقال عليه السلام: ارج لمن مضى رحمة اللّه ولمن بقي رزق الله. الرابعة: قوله تعالى: {ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها}. الخامسة: قوله تعالى: {وما بطن} المراد: النهي عن كل قبيح على كل وجه، إذ هو عام لكل الفواحش ظاهرها وباطنها، والنهي عن قربها مبالغة في النهي عنها. قال تعالى: {وذروا ظاهر الإثم وباطنه}، وعن علي عليه السلام: من سره الغنى بلا مال والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية اللّه إلى عز طاعته. وعن علي عليه السلام: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم خطب فقال: ((أيها الناس الموتة الموتة الوحية الوحية لا ردة، سعادة أو شقاوة، جاء الموت بما فيه بالروح والراحة، لأهل دار الحيوان الذين كان لهم سعيهم وفيها رغبتهم، جاء الموت بما فيه من الويل والحسرة والكرة الخاسرة لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم، بئس العبد عبد له وجهان يقبل بواحد ويدبر بآخر إذا رأى بأخيه المسلم خيراً حسده، وإن ابتلي خذله، بئس العبد عبد خلق للعبادة فألهته العاجلة عن الآجلة فزالت عنه العاجلة وشقي بالعاقبة، بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد بغى

وعتى ونسي المبدأ والمعاد، بئس العبد عبد له هم يضله، بئس العبد عبد له رغب يذله، بئس

العبد عبد له طمع يزله)). السادسة: قوله تعالى: {ولاتقتلوا النفس التي حرم اللّه إلا بالحق} وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من لقي اللّه بدم حرام لقي اللّه يوم لقياه وبين عينيه آيس من رحمة اللّه)) . وقال تعالى: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب اللّه عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً} وكفى بهذه الآية زجراً لمن تذكر ، وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((قتال المسلم دون ماله شهادة)) . السابعة: قوله تعالى: {ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن}، أي: الخصلة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره لحتى يبلغ رشده وخص مال اليتيم وإن كان مال غيره في التحريم بمثابته لأن الطمع لقلة مراعيه أقوى، {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً}، كفى بهذه الآية نهياً وزجراً وتخويفاً عن مال اليتيم. وقال عليه السلام: ظلم الضعيف أفحش الظلم. الثامنة والتاسعة: قوله تعالى: {وأوفوا الكيل والميزان بالقسط} يعني بالعدل، قال تعالى: {ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون} وكفى بهذه الآية زجراً عن بخس الكيل والميزان. وعن علي عليه السلام أنه قام في سوق الكوفة على دابته فنادى ثلاثاً: يامعشر الناس أوصيكم بتقوى اللّه فإنه وصية اللّه في الأولين والآخرين وأوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا في الأرض مفسدين ولاتغشوا هذه الفضة الجيدة بالزئبق ولابالكحل فتكونوا غداً من المعذبين. ثم قال تعالى: {لانكلف نفساً إلا وسعها} لأن المحافظة على العدل لازيادة ولانقص فيهما حرج فأمر بالوسع وما عداه مغفور فسبحانه ما ألطفه. العاشرة: قوله تعالى: {وإذا قلتم فاعدلوا} أي اصدقوا في مقالتكم وهذه اللفظة من الأوامر العجيبة البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها وعذوبة لفظها الإقرار والشهادة

والوصايا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفتاوى والأحكام والقضايا والمذاهب وغيرها من التكاليف، ثم قال تعالى: {ولو كان ذا قربى} ولو كان المقول له أو عليه ذا قرابة منكم وحذرهم وزجرهم من ترك قول العدل بعموم قوله تعالى. وهي الحادية عشرة.: {وبعهد اللّه أوفوا} وذلك كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر أو غيره، وكذا فرائضه وما أوجب علينا لأن الجميع داخل في اسم أنه عهد الله، ثم قال تعالى: {وأن هذا صراطي} بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافاً، فأي هذا الذي وصيتكم به فاتبعوه {ولاتتبعوا السبل} أي الطرق الخارجة عن الحق المخالفة لدين النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم {فتفرق بكم عن سبيله} أي طريقه المستقيم. وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم : ((أنه خط خطاً مستقيماً وخط خطاً يميناً وشمالاً وقال: هذا سبيل اللّه وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)) انتهى. فيجب التحرز عن البدع والميل إليها والتمسك بصراط الله، وفي تكرير: {ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون.. لعلكم تذكرون.. لعلكم تتقون} مالايخفى من الحث على لزوم ما وصانا تعالى به وأن نعقله ونتذكره فلا نغفل عنه لنكون من المتقين المستحقين للثواب المزحزحين من العقاب فسبحانه ما ألطفه يريد اللّه ليبين لكم، وعن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه تلا: {تبارك الذي بيده الملك} حتى بلغ قوله: {أيكم أحسن عملا} ثم قال: ((أيكم أحسن عملاً فهو أحسن عقلاً وأورع عن محارم اللّه وأسرعهم في طاعة اللّه)) . قوله تعالى: {قل من حرم زينة اللّه التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على اللّه ما لاتعلمون} [الأعراف: 33]، قوله: زينة الله: أي من الثياب وكل ما يتجمل به.والطيبات

من الرزق: أي المستلذات من المآكل والمشارب والاستفهام للإنكار ويدخل تحت الزينة أنواع الملبوس وتنظيف البدن والركوب وأنواع الحلي إلا ما خص، ويدخل في الطيبات كلما

يستلذ ويشتهى من الحلال من أنواع المأكولات والمشروبات والتمتع بالنساء والطيب وغير ذلك، وهذا مؤكد بنحو قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل اللّه لكم}. {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللّه لك}، {يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات}، {اليوم أحل لكم الطيبات}، وفي (العلوم): حدثنا محمد عن أبي الطاهر، عن أبيه، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: جاء عثمان بن مظعون إلى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم .. إلى أن قال: قد هممت أن أحرم خولة زوجتي؟ قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لاتفعل فإن العبد إذا أخذ بيد زوجته كتب اللّه له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة، فإن قبلها كتب اللّه له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات، فإن ألم بها حضرتهم الملائكة فإذا اغتسلا لم يمر الماء على شعرة منهما إلا كتب اللّه لهما بها حسنة ومحا عنهما سيئة. وقال لملائكته: انظروا إلى عبدي هذين اغتسلا في هذه الليلة الباردة علما أني ربهما أشهدكم أني قد غفرت لهما فإن كان لهما في وقعتهما تلك ولد فتقدمهما كان شفيعاً لهما فإن تأخرهما كان نوراً لهما، وإن لم يكن لهما في وقعتهما كان لهما وصيف في الجنة، ثم ضرب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم بيده صدري ثم قال: ياعثمان لاترغب عن سنتي فإنه من رغب عن سنتي عرضت له الملائكة يوم القيامة فصرفت وجهه عن حوضي)) انتهى. وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((إذا نظر العبد إلى وجه زوجته ونظرت إليه نظر اللّه إليهما برحمته، وإذا أخذ بكفها وأخذت بكفه تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما، فإذا تغشاها حفت بهما الملائكة من الأرض إلى عنان السماء، وكانت كل لذة وشهوة حسنات كأمثال الجبال، فإذا حملت كان لها أجر

الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، فإذا وضعت لم تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال: ((هذا يوم جمعة جعله اللّه عيداً للمسلمين فاغتسلوا فيه ومن كان عنده طيب فلا يضر أن يمس منه وعليكم بالسواك)) . وفي حديث: قلنا يارسول الله: أمن الكبر الدابة نركبها والحلة نلبسها والطعام نصنعه للإخوان؟

قال: ((لا، ولكن من سفه الحق وغمص الناس)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((ما اكتسب رجل كسباً أطيب من عمل بيده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة)) . وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً من ياقوت يرى داخله من خارجه وخارجه من داخله من ضيائه وفيه بيتاً(1) من در وزبرجد. فقلت: ياجبريل: لمن هذا القصر؟ فقال: هذا لمن أطاب الكلام وأدام الصيام وأطعم الطعام وتهجد الليل والناس نيام)) . قال علي عليه السلام: وفي أمتك من يطيق هذا؟ فقال: ((ادن مني يا علي فدنا منه، فقال: أتدري من أطاب الكلام؟ قال: اللّه ورسوله أعلم. قال: من قال: سبحان اللّه والحمدلله ولا إله إلا اللّه والله أكبر، تدري من أدام الصيام؟ قال: اللّه ورسوله أعلم. قال: من صام رمضان ولم يفطر منه يوماً. تدري من أطعم الطعام؟ قال: اللّه ورسوله أعلم. قال: من طلب لعياله ما يكف به وجوههم عن الناس. تدري من تهجد بالليل والناس نيام؟ قال: اللّه ورسوله أعلم. قال: من لم ينم حتى يصلي العشاء الآخرة)) . ويعني بالناس نيام: اليهود والنصارى فإنهم ينامون فيما بينهما. ثم قال تعالى: {قل هي للذين آمنوا في الحياة} يعني غير خالصة لهم لمشاركة غيرهم فيها بل هي خالصة لهم يوم القيامة لايشاركهم فيها أحد. قال علي عليه السلام: اعلموا عباد اللّه أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل

---

(1) .كذا ولعله: بيت بالرفع. تمت

الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا أنهم جيران اللّه غدا في أخراهم، لاترد لهم دعوة ولاينقص لهم نصيب من لذة. انتهى. وقال تعالى : {إن اللّه مع

الذين اتقو والذين هم محسنون} {إن رحمة الله قريب من المحسنين} {للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير} {ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب} {ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً} ثُمَّ قال تعالى: {قل إنَّما حرم ربي الفواحش} أي ما تزايد قبحه ما خفي منها وما ظهر والإثم أي كل ذنب، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: لا تستروا الجدرات بالثياب وإنه من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده، أفأنبئكم بشر من هذا))؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: ((من يبغض الناس ويبغضونه، أفأنبئكم بشر من هذا))؟ قالوا: نعم يارسول الله. قال: ((من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره))، ثُمَّ قال: ((إن عيسى ابن مريم قام في قومه فقال: يا بني إسرائيل: لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تظلموا ولا تكافوا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم، يا بني إسرائيل: الأمر ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر قد اختلف فيه فردوه إلى الله)). ثُمَّ قال تعالى: {والبغي بغير الحق} وهو ظلم الناس أفرد لقبحه، قال تعالى: {وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. يا أيها الناس إنَّما بغيكم على أنفسكم} وقد أمر

تعالى بقتله: {فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله}، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تحل الجنة لعاص))، وقال علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: (لا تدعون أحداً إلى مبارزة وإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي باغي والباغي مصروع)، وقال: (يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم)، وقال: (للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة) انتهى. ثُمَّ قال تعالى: {وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً) أي حجة وبرهاناً والشرك أعظم الذنوب

قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً. ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً} {لئن أشركت ليحبطن عملك} { إن الشرك لظلم عظيم} وقال علي عليه السلام: (ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر وظلم لايترك، وظلم مغفور لايطلب، فأما الظلم الذي لايغفر فالشرك بالله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عن بعض الهنات، القصاص هناك شديد ليس هو جرحاً بالمدى ولا ضرباً بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه). ثُمَّ قال تعالى: {وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون} من التحريم وغيره وفي هذه دلالة قوية على تحريم القول على الله بغير علم بل قد قيل: إنها من أقوى الدلائل على أن القول بالتقليد باطل وهو الظاهر إلاَّ مع الضرورة فيقلد نصوص العلماء لا ما فرع عليها، فالآية هذه قاضية بالتحريم لأنا لا نعلم أن ذلك قول الله فالأحوط مع ضرورة التقليد اتباع النصوص فقط؛ إذ ليس بعد تحذير الله قال تعالى: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام}، {ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً} وقال علي عليه السلام: (لا يفتي الناس إلاَّ من قرأ القرآن وعلم الناسخ من المنسوخ وفقه السنة وعلم الفرائض

والمواريث)، وقال: (أول القضاء ما في كتاب الله ثُمَّ ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثُمَّ ما أجمع عليه الصالحون، وإن لم يوجد ذلك في كتاب الله ولا في السنة ولا فيما أجمع عليه الصالحون اجتهد الإمام في ذلك لا يألوا احتياطاً واعتبر وقاس الأمور بعضها ببعض فإذا تبين له الحق أمضاه ولقاضي المسلمين من ذلك ما لإمامهم) انتهى. ومع الضرورة فالأولى اتباع النصوص لاحتمال قيام القاصر مقام من قلد وقد علم المقلد الحكم، وأما التخاريج فالترك لها أحوط، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أخذ دينه عن التفكر في ألاء الله تعالى وعن التدبر لكتابه والتفهم لسنتي زالت الرواسي ولم يزل ومن أخذ دينه عن أفواه الرجال وقلدهم فيه ذهبت به الرجال من يمين إلى شمال، وكان من دين الله

على أعظم زوال)) انتهى. فالتخريج ليس بقول للمخرج له ولا مذهب للمخرج، فليس له مستند يرجع إليه، أما إذا قيل إنَّه عن رسول الله فلا يبعد أن في ذلك إثم مع التعمد لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)) ولما سبق وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً ليس ينتزعه منهم ولكن يقبض العلماء، فإذا قبض العلماء اتخذوا الناس رؤساء جهالاً يسألون فيستحيون أن يقولوا لا نعلم فضلوا وأضلوا))(1).

---

(1) . رواه في شمس الأخبار ص 62 تمت.

قوله تعالى: {ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنَّه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين}[الأعراف: 56] تضرعاً أي تذللاً، وخفية أي سراً، المعتدين أي في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت، ولا تفسدوا أي بالمعاصي والظلم، بعد إصلاحها ببعث الرسل، وخوفاً أي من عقابه، وطمعاً أي في ثوابه ورحمته وخوفاً من الرد وطمعاً في الإجابة والمحسنين المطيعين وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لإضافتها إلى الله تعالى أمتن الله على عباده المؤمنين بأمره لهم بالدعاء والأذن فيه ووعدهم الإجابة فسبحانه ما ألطفه فتح لك باب الدعاء في أي حاجة دنيوية أو أخروية ولم يلجيك إلى من يشفع لك إليه فاقرع الباب إن كنت من ذوي الألباب {أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء} {أدعوني أستجب لكم} {أجيب دعوة الداع إذا دعان}، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما أعطى أحد الدعاء فمنع الإجابة إن الله تعالى يقول: {ادعوني أستجب لكم}، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أدى فريضة فله عند الله دعوة مستجابة))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفس محمد بيده لدعاء الرجل بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنجح في الحاجة من الضارب بماله في الأرض))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من مؤمن يدعو بدعوة إلاَّ استجيب له

فإن لم يعطها في الدنيا أعطيها في الآخرة)) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الدعاء يرد القضاء وإن البر يزيد في العمر، وإن الحج لينفي الفقر، وإن صدقة النهار تدفع ميتة السوء، وإن صدقة الليل تطفي غضب الرب تبارك وتعالى))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين وزين ما بين السموات والأرض))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((خمس دعوات مستجابات: دعوة المظلوم حتى ينتصر، ودعوة الحاج حتى يصدر، ودعوة المجاهد حتى يقفل، ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب

وأسرع هذه الدعوات إجابة دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحب أن تستجاب دعوته فليطيب مكسبه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((سلوا الله السداد فإن الرجل قد يعمل الدهر الطويل على الجادة من جواد الجنة فبينا هو كذلك دؤبا دؤبا إذ انبرت له الجادة من جواد النار فيعمل عليها ويتوجه إليها فلا يزال دؤبا دؤبا حتى يختم له بها فيكون من أهلها، وإن الرجل قد يعمل الدهر الطويل على الجادة من جود النار فبينا هو كذلك دؤبا دؤبا إذ انبرت له الجادة من جواد الجنة فيعمل عليها ويتوجه إليها فلا يزال دؤبا دؤبا حتى يختم له بها))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا أراد أحدكم ألا يسأل ربه شيئاً إلاَّ أعطاه فلييئس من الناس كلهم ولا يكون له رجا إلاَّ عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلاَّ أعطاه، ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإن في القيامة خمسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة ثُمَّ تلا هذه الآية: {في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة}، وقال علي عليه السلام: (إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة)، وقال: (ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء فإنه سلاح الأنبياء)، وقال: ((إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها فإن القلب إذا كره عمي) وقال عليه السلام: (حلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنه برئ من حول الله وقوته، فإذا حلف بها

كاذباً عوجل وإذا حلف بالله الذي لا إله إلاَّ هو لم يعاجل لأنَّه قد وحده سبحانه) وقال عليه السلام: (قليل تدوم عليه أرجاء من كثير مملول) وقال: (ما المبتلي الذي قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافا الذي لا يأمن البلاء) وقال لابنه محمد: (يا بني أني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإن الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت) وقال

عليه السلام: (إذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ المسألة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثُمَّ اسأل حاجتك فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى)، وقال عليه السلام: (من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس) وقال عليه السلام: (من شكا الحاجة إلى المؤمن فكأنما شكاها إلى الله ومن شكاها إلى كافر فكأنما شكا الله) وقال عليه السلام: (أربعة لا ترد لهم دعوة: الإمام العادل والوالد لولده والمظلوم والرجل يدعوا لأخيه بظهر الغيب)، وقال عليه السلام: (الدعاء سلاح المؤمن)، وقال عليه السلام: (من قال في موطن قبل وفاته: رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً وبعلي وبأهل بيته أولياء كان له ستراً من النار، وكان معنا غداً هكذا . وجمع بين أصبعيه .)، وعن علي عليه السلام: (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر).
قوله تعالى: {أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلاَّ القوم الخاسرون} [الأعراف: 99] أي استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة، وقال علي عليه السلام: (إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا قصاها بقلة الشكر)، وقال عليه السلام: (يا ابن آدم إذا رأيت ربك يتابع عليك نعمة وأنت تعصيه فاحذره)، وقال عليه السلام: (الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله كم من مستدرج بالإحسان إليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه وما ابتلي الله سبحانه أحداً بمثل إلاَّ ملا له) وقال عليه السلام: (رب منعم عليه مستدرج بالنعماء ورب مبتلي مصنوع له بالبلوى)، وقال عليه السلام:

(أيها الناس ليركم الله من النعمة أجلين كما يراكم من النقمة فرقين إنَّه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً ومن ضيق عليه في ذاته يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيع مأمولاً).

قوله تعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنَّه سميع عليم}[الأعراف: 200] معنى خذ العفو وأمر بالعرف هو أدب من الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، جمعت هذه الأحرف اليسيرة من الأدب ما فيه حكمة عظيمة لمن عقلها وأقبل عليها بفكره؛ لأن قوله: {خذ العفو} يدل على احتمال الشرور وستر كثير من قبائح الأمور وأخذ السهل من أخلاق الناس، وقوله: {وأمر بالعرف} يدل على الأمر بالخيرات والزجر عن جميع القبائح، ثُمَّ قال: {وأعرض عن الجاهلين} فدل بذلك على ألطف المواعظ وهي الهجرة الجميلة لسفهاء البرية وسفلها فانظر ما في هذه الكلمات من الحكمة وحسن التدبير والبركات والسلامة، وقد قيل: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها ولها ما يؤكدها في القرآن {وأْمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عز الأمور} {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} {سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين}، وقال علي عليه السلام لعماله: (لا تبتعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعملون عليها ولا عبداً ولا يضربن أحدا سوطاً لمكان درهم ولا يمس مال أحد مصل ولا معاهد)، وقال عليه السلام في عهده للأشتر: (أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة واللطف فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ولا تندمن على عفو ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عندها مندوحة وتقرب من الغير) وقال عليه السلام: (العلم فدم (1) السفيه والعفو زكاة الظفر أغض على القذاء والألم ترض أبداً، من لان عوده كثفت أغصانه، من أشرف أفعال الكريم غفلته عما يعلم وبالحلم عن السفيه يكثر الأنصار عليه،

ازجر المسيء بثواب المحسن، التودد نصف العقل، من

---

(1) . رجل فدم أي عييٌّ ثقيل بين الفدامة. تمت مختار

جعل المراء ديناً لم يصبح ليله من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون، هانت عليه نفسه من أمر عليها لسانها، البشاشة حبالة المودة والاحتمال قبر العيوب، ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه، أقيلوا ذوي المروات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلاَّ ويد الله بيده يرفعه) وقال عليه السلام: (وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق). ثُمَّ قال تعالى: {وإما ينزغنك من الشيطان نزغ} أي ينخسنك عنه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به فاستعذ بالله أي استجر به ولا تطعه والنزغ الغرز والنحس كان ينخل(1) حين يغريهم على المعاصي وإغراء الغضب أنَّه سميع لاستعاذتك عليم بوسوسته وبمصالحكم)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((اتقوا الدنيا واتقوا النساء واتقوا الغضب فإنه جمرة تتوقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليذكر الله سبحانه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((خيار أمتي هم الذي إذا غضبوا رجعوا))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا غضبت فاقعد فإذا لم يذهب فاضطجع فإن ذلك يذهب عنك إن شاء الله))، وقال علي عليه السلام للحسن عليه السلام: (يا بني احفظ عني أربعاً: لا يضرك ما عملت معهن شيء، اعلم أن أغنى الغناء العقل وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب وأكبر من الحسب حسن الخلق وإياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويباعد عنك القريب وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عندك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه اليسير).

(1) . كذا.

قوله تعالى: {واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين}[الأعراف: 205] قوله في نفسك وهو الذكر القلبي وهو شغل القلب في التفكر في جلال الله وقدرته وعظمته وسلطانه وعدله وتوحيده ووعده ووعيده، تضرعاً وهو التذلل والخضوع والخشوع، وخيفة أي خيفة منه تعالى، وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكمه عام للمكلفين، ودون الجهر أي الذكر السر فلا تجهر كقوله تعالى: {ادعوا ربكم تضرعاً وخفية} ودلت الآيتين أن السر أفضل من الجهر بالغدو والآصال أوائل النهار وأواخره، وذكر هذين الوقتين لفضلهما وقد ذكرهما تعالى في غير هذا {بكرة وأصيلاً} {بكرة وعشيا} والآصال ما بين العصر والمغرب جمع أصيل، ولا تكن من الغافلين عن ذكره فتنساه (اذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون} {والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما} { يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً}، وعن علي عليه السلام: (إن المؤمن إذا نظر اعتبر وإذا سكت تفكر وإذا تكلم ذكر وإذا استغنى شكر وإذا أصابه شدة صبر فهو قريب الرضى بعيد السخط يرضيه من الله عز وجل اليسير، نيته في الخير مغموسة، ينوي كثيراً من الخير فيتلهف على ما فاته من الخير كيف لم يعمل به)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من انتبه من فراشه فقال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله آمنت بالله وكفرت بالطاغوت غفرت له ذنوبه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ذكر الله أفضل من الصدقة والصدقة أفضل من الصيام والصيام جنة من النار))، وروي في أمالي المؤيد بالله بسنده عنه صلى الله عليه وآله وسلم: قال: ((لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلاَّ الله فإنها تهدم الخطايا)) فقالوا: كيف هي للأحياء؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فهي أهدم وأهدم))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أكثر من ذكر الله أحبه الله)).

قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذي إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عيهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، الذي يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم}[الأنفال: 4] إنَّما للحصر أي الكاملون في الإيمان لهم صفات خمس: الأولى: إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت وفزعت يعني فزعت لذكر الله استعظاماً له وتهيباً من جلاله وعز سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا كقوله: {تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم. والذين هم من عذاب ربهم مشفقون}، وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله تعالى: {ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله} إذ هذا لفتح النفس وشرح الصدر بمعرفة التوحيد وذكر رحمته وثوابه والوجل إنَّما هو لما سبق من الخوف من عقابه بل هذان الوصفان قد اجتمعا في قوله تعالى: {تقشعر منه جلود الذي يخشون ربهم ثُمَّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله}، عند رجاء ثوابه. الثانية: قوله: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً} فيتدبر عند تلاوته ليعرف ما أمر به وما نهي عنه وما وعد به وتوعد ليزداد إيماناً إلى إيمانه ويتدبر الآيات المثيرة لدفائن العقول لتحصل الزيادة. الثالثة: قوله تعالى: {وعلى ربهم يتوكلون}فلا يفوضون أمورهم إلاَّ إليه، قال علي عليه السلام في وصيته للحسن: (وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك فإنك لتوجهها إلى كهف حريز واخلص المسألة لربك فإنه بيده العطاء والحرمان وأكثر الاستخارة)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((كفى بالمرء إثماً أن يكون كلاً وعيالاً على المسلمين))، وقال علي للحسن عليهما السلام: (خذ من الدنيا ما آتاك وتولى عما تولى عنك وإن أنت لم تفعل فأجمل في الطلب). الرابعة: قوله {الذين يقيمون الصلاة} أي يفعلونها كاملة في أوقاتها. الخامسة: قوله تعالى: {ومما رزقناهم ينفقون} الزكاة وغيرها جمع تعالى بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال

الجوارح من الصلاة والصدقة، ثُمَّ أثبت تعالى لمن هذه صفته أمور أربعة: الأولى قوله تعالى: {أولئك هم المؤمنون حقاً} أي هم المؤمنون بالحقيقة. الثاني: قوله تعالى: {لهم درجات

عند ربهم} أي شرف وكرامة وعلو منزلة.الثالث قوله {ومغفرة} أي ستر لذنوبهم. الرابع: قوله: {ورزق كريم} يعني نعيم الجنة لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم. واعلم وفقنا الله وإياك أن الإيمان الشرعي ليس مقصوراً على التصديق فقط لهذه الآية وغيرها في القرآن فلا بد مع ذلك من فعل الواجبات وتجنب الكبائر، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: {المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمهاجر ما هجر ما نهي عنه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحياء شعبة من الإيمان))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث من كن فيه فقد استكمل خصال الإيمان: من الذي إذا قدر لم يتعاطا ما ليس له بحق، ومن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، ومن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((المؤمن من أمنه الناس))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)) قال جابر: ومن هم يا رسول الله؟ قال: ((الذي يصلحون عند فساد الناس))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تعجبوا بإسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة قلبه)) واستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوم فقال: ((من القوم؟ قالوا: مؤمنون يا رسول الله قال: وما بلغ من إيمانكم؟ قالوا: الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضاء بالقضاء. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حكماء حلماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء إن كنتم كما تصفون فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون}، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يزني الزاني

وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، قيل يا رسول الله: كيف نصنع إذا وقع شيئاً من ذلك؟ قال: إن راجع التوبة راجعه الإيمان فإن لم يتب لم يكن مؤمناً))، وسئل علي عليه السلام عن الإيمان فقال: ((الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، فالصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشفق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة

سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأولين، فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين، والعدل منها على أربع شعب: على غايص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً والجهاد منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنئان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة)، وقال علي عليه السلام: (لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل) وقال عليه السلام: (لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله سبحانه أوثق منه بما في يده)، وقال عليه السلام: (الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان) وعن أبي أمامة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الإيمان فقال: ((إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن))، قال: فما الإثم؟ قال: ((إذا حك في نفسك شيء فدعه)).
واعلم أن التوكل هو

الاعتصام بالله دون خلقه في معيشة وغيرها، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلاَّ أعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلاَّ عند الله))، وقال عليه السلام: (لا يرجون أحد إلاَّ ربه)، فطلب المعيشة على ثلاثة أقسام:
الأولى: أن الأولى لصاحب العبادة والمشتغل بتربية العلم وطلبه والقضاة ونحوهم التناول من أموال المصالح وترك التكسب لرزق علي عليه السلام لشريح من بيت المال على اشتغاله

بالقضاء ونحوه. الثاني: حيث لم يتأتا التناول فإن كانوا واثقين من أنفسهم بعدم انتظار الناس من يتصدق عليهم ولا رجاء لهم فيهم فلا بأس بتركه مع استعمال الصبر وعليه يحمل قول علي عليه السلام: (وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من أمر الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً وملك الدارين جميعاً)، وقوله وقد سئل: لو سد على رجل باب بيته وترك فيه من أين كان يأتيه رزقه؟ فقال: (من حيث يأتيه أجله)، وقوله: (خذ من الدنيا ما أتاك وتولى عما تولى عنك فإن أنت لم تفعل فاجمل في الطلب، وقوله: الرزق رزقان: فرزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك)، ومما ورد في الأدعية والرواتب من تحصيل الرزق بها وقد سبق شيء من ذلك. الثالث: ما عداهما الأولى له التوكل بطلب المعيشة له ولعوله بالكد وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول أو يكون عيالاً على الناس))، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كفى بالمرء إثماً أن يكون كلاً وعيالاً على المسلمين))، وقول علي عليه السلام: (لا تتكسل في معيشتك على كسب غيرك تنتظر متى يتصدق عليك)، وقوله عليه السلام: (للمؤمن ثلاث ساعات فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرُم فيها معاشه، وساعة يخلي بين نفسه ولذتها فيما يحمل ويحمل وهو فعل سادات الأمة وأعيان الصحابة والتابعين)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((اليد العليا خير من اليد السفلى))، وعنه صلى

الله عليه وآله وسلم: ((كان في صحف إبراهيم: وعلى العاقل أن لا يكون ضاعناً إلاَّ لثلاث تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم))، وإذ هو جهاد لقول علي عليه السلام: (الاكتساب من الحلال جهاد، وإنفاقك إياه على عيالك وأقاربك صدقة، ولدرهم حلال من تجارة أفضل من عشرة من غيره). وللتكسب شروط: منها: تجنب الحرام ومنها حسن النية ليفوز بالأجر، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((تحت ظل العرش يوم لا ظل إلاَّ ظله رجل خرج ضارباً في الأرض يطلب من فضل الله يعود به على عياله))، ولما سئل صلى الله عليه وآله وسلم: أي الكسب أفضل؟ قال: ((عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور

فإن الله يحب المؤمن المحترف، ومن كد على عياله كان كالمجاهد في سبيل الله))، وقول علي عليه السلام: (من طلب الدنيا حلالاً تعطفاً على والد أو ولد أو زوجة بعثه الله ووجهه كالقمر ليلة البدر)، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقه))، ونحو ذلك. ومنها الاستعانة بالرواتب والأدعية في التيسير والسلامة من نصبه، ومنها التوكل على الله في ذلك والشكر على حصول الحلال والتصبر على الحرمان ويرضى بما قسم له ويعتقد أن ما فات أنَّه مصلحة واختيار كما سبق. ومنها: استعماله القصد في المعيشة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من اقتصد في معيشته رزقه الله))، وقول علي عليه السلام: (ما عال امرء اقتصد). ومنها: أن لا يكون همه الجمع لمن يخلف والطمع بل يكون همه الآخرة والبلاغ من القوت على حسب قل العول وكثرهم ويتفرغ من هموم الدنيا ويزهد نفسه في الدنيا ليستريح في الدارين ولا يبالي إلاَّ بما فات من دينه، وما يقربه إلى خالقه وليتفهم ما سأذكره عن النبي والوصي صلى الله عليهما، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((خذ من الحلال ما شئت إذا أمكنك وجانب الجمع والطمع))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سره أن يلحقني فليكن زاده

من الدنيا كزاد الراكب))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أصبح معافاً في بدنه آمناً في سربه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا، يابن جعشم: يكفيك منها ما سد جوعتك، ووارى عورتك وإن كانت بيت تواريك فذاك، وإن كانت دابة تركبها فتم وما فوق الإزار حساب عليك))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن لله خواصاً فيسكنهم الرفيع من الجنات كانوا أعقل الناس، قلنا يا رسول الله: كيف كانوا أعقل الناس؟ قال: كانت مهمتهم المسابقة إلى ربهم والمسارعة إلى ما يرضيه وزهدوا في الدنيا وفضولها، ورياستها ونعيمها وهانت عليهم فصبروا قليلاً واستراحوا طويلاً))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أيها الناس، أما تستحيون؟ قالوا: مم يا رسول الله؟ قال: تجمعون مالا تأكلون، وتبنون مالا تعمرونه وتؤملون مالا تدركون، أفلا تستحيون من ذلك؟))، وقال

علي عليه السلام: (خذ من الدنيا ما أتاك وتولى عما تولى عنك فإن أنت لا تفعل فاجمل في الطلب)، وقال: (من عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه)، وقال: (ليس بلد أحق بك من بلد خير البلاد ما حملك)، وقال: (يا ابن آدم، ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك)، وقال: (شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق فإنه أخلق للغنى وأجدر بإقبال الحظ)، وقال: (طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف)، وقال: (لا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة)، وقال: (الرغبة مفتاح النصب ومطية التعب)، وقال عليه السلام: (إنما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار، ويقتات منها ببطن الإضطرار)، وقال: (لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدك فإن يكن أهلك وولدك أولياء لله فإن الله لا يضيع أولياءه وإن يكونوا أعداء الله فما همك وشغلك بأعداء الله)، وقال: (إنما أنت جامع لأحد رجلين: رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به، أو رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس أحد هذين أهلاً أن تؤثره على

نفسك، وتحمل له على ظهرك فارج لمن مضي رحمة الله ولمن بقي رزق الله).

قوله تعالى: {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثُمَّ وليتم مدبرين} [التوبة: 25]، أي واذكر يوم حنين وهو واد بين مكة والطائف إذ أعجبتكم كثرتكم قيل كانوا ستة عشر ألفاً وقيل اثنا عشر ألفاً، فلم تغن عنكم الكثرة شيئاً، وقوله تعالى: {بما رحبت}، أي مع رحبها أي سعتها، ومدبرين أي منهزمين انهزموا حتى بلغ فلهم مكة، وثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه نفر من بني هاشم فلم يبرحوا وثبت الله أقدامهم وقال الشاعر:

خلى الناس عنه في حنين بأسرهم ... وولوا هزيماً بالرماح الشوارع
سوى الهاشميين الكرام فإنهم ... ذووا الصبر تحت المرهفات القواطع
وفيهم علي خير من وطي الحصى ... فريع قريش كلها في الوقائع

سنان رسول الله في كل حومة ... وكاشفها عن وجهه غير راجع

دلت الآية على أنَّه يجب التوكل على الله، والإتكال عليه والإنقطاع، لذا أنَّه تعالى قال: {لقد نصركم الله في مواطن كثيرة...الآية}، فلما عجبوا بكثرتهم يوم حنين وقعت الهزيمة فيقبح الإعجاب إذ قد أثر في أصحاب الجهاد فكيف بغيرهم؟، قيل: والعجب مسرة بحصول أمر يصحبها تطاول لا جله على من لم يحصل له مثله، لا السرور الخالص من هذا إذ المؤمن من سرته حسنته بل يحمد الله ويشكره على ما يسر له ذلك الأمر وقد انعقد الإجماع على حضر الإعجاب، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((اجتنب الكبر والبخل والعجب والرياء ومشية الخيلاء)، وقال عليه السلام: (الإعجاب يمنع من الإزدياد)، وقال عليه السلام: (عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله)، وقال عليه السلام: ((لا وحدة أوحش من العجب)، وقال عليه السلام: (سيئة تسؤك عند الله خير من حسنة تعجبك).

قوله تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم} [التوبة: 71]، قوله أولياء بعض أي في الدين والمناصرة والرحمة، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أفشوا السلام بينكم، وتواصلوا وتباذلوا))، وعن علي عليه السلام: ((يكاد الناس أن ينقصوا حتى لا يكون شيء أحب إلى امرئ مسلم من أخ مؤمن أو درهم من حلال وأنى له به))، وعن علي عليه السلام: (إذا أتى أحدكم أخوه فليأكل من طعامه وليشرب من شرابه ولا يسأله عن شيء)، وعن علي عليه السلام: (للمسلم على أخيه ست خصال: يعرف اسمه واسم أبيه، ومنزله فيسأل عنه إذا غاب ويعوده إذا مرض ويجيبه إذا دعاه ويشهد جنازته إذا مات)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((للمسلم على المسلم ست من المعروف: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعيده إذا مرض، ويحضر جنازته، ويحب له ما يحب لنفسه))، وعنه

صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يكون المرء مؤمناً حتى يكون وصولاً، ولا يكون مسلماً حتى يسلم الناس من يده ولسانه، ولا يكون عالماً حتى يكون بالعلم عاملاً، ولا يكون عابداً حتى يكون ورعاً، ولا يكون ورعاً حتى يكون زاهداً، أطل الصمت وأقل الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن فوق ثلاثة أيام))، قال علي عليه السلام للحسن عليه السلام: (يا بني، إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب)، وقال عليه السلام: (قلوب

الرجال وحيشة فمن تألفها أقبلت عليه)، وقال عليه السلام: (فقد الأحبة غربة)، ثُمَّ لما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير فقال: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر عكس المنافقين. وقال عليه السلام: (أيها المؤمنون: إنَّه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبري، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين)، ثُمَّ لما ذكر صفات المؤمنين قال تعالى: {أولئك سيرحمهم الله}، بالفوز بنعيم الجنة والنجاة من النار وأتى بالسين للتوكيد والمبالغة كما يؤكد الوعيد بها في قوله: سأنتقم منك، ثُمَّ قال: (إن الله عزيز)، أي غالب قادر على كل شيء حكيم واضع كلاً موضعه على حسب الاستحقاق، وهما أيضاً للمبالغة.

قوله تعالى: {وإن يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له إلاَّ هو وإن يردك بخيرٍ فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم} [يونس: 107]، الضر والفقر والمرض فلا يقدر على كشف الضر إلاَّ هو، ولا يقدر أحد على رد فضله، يصيب بالخير أو بهما

من يشاء من عباده على حسب حكمته جل وعلا، فهو الحقيق بأن يعبد ولا يعصى ويصمد ويتوكل عليه في جميع الأمور، وحقيق بالمربوب أن يقطع رجاه عن غير هذا الرب الغفور الرحيم ويبالغ في الاعتذار إليه مما فرط، ويبث إليه حاجته وشكواه، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، أما الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيصد عن الآخرة وهذه الدنيا مرتحلة وهذه الآخرة قادمة ولكل واحدة منهما بنون فإن استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة فافعلوا فأنتم اليوم في دار عمل ولا حساب وأنتم غداً في دار حساب ولا عمل، وأنتم اليوم في المضمار وغداً في السباق، والسباق إلى الجنة والمتخلف في النار، وبالعفو تنجون وبالرحمة تدخلون وبأعمالكم تقتسمون)).

قوله تعالى: {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاَّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون} [هود: 162]، يحتمل قوله تعالى: {نوف إليهم أعمالهم}، أي جزاء أعمالهم من العقاب ويحتمل أن يكون ما يرزقون فيها من الصحة والرزق، ويحتمل أن من كان مريداً لهذه الحياة الدنيا ونسي آخرته وفعل شيئاً من صلات الأرحام أو نحوها أو قراءة وجهاد وإعطاء مريداً للرياء فيوفي بسعة الرزق ونحو ذلك، أو يوفى بأن يقال في الدنيا هو قارئ شجاع كريم فيموتوا وليس لهم حسنة فليس لهم إلاَّ النار وحبط ما صنعوا فيها يعني لم يكن(1) ثواب، لأنهم لم يريدوا الآخرة، فعليك أيها المتدبر لهذه الآية أن تنزع نفسك عن حب الدنيا وزينتها ورياستها وحب الثناء فيها، وأن يكون همك أخراك لتنال الملك الدائم وتنجى من العذاب الأليم، واحذر أن تريد بأعمالك الصالحة الدنيا، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((حب الثناء من الناس يعمي ويصم))، وقال علي عليه السلام: (أخسر الناس صفقة وأخيبهم سعياً، رجل أخلق بدنه في طلب آماله، ولم تساعده المقادير على إرادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الآخرة بتبعته)، وقال عليه السلام: (وما المغرور

الذي ظفر من الدنيا باعلاً همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته)، أي نصيبه، وقال عليه السلام: (ولا يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل ما يتقبل)، وقال عليه السلام: (مثل الدنيا كمثل الحية لين ممسها، والسم الناقع في جوفها يهوي إليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل).

---

(1) . لعل العبارة لم يكن لهم ثواب.

قوله تعالى: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثُمَّ لا تنصرون} [هود: 113]، هذا نص صريح أن الركون إلى الظلمة محسوم متوعد عليه بالنار وأن ليس له ناصر ينصره من عذاب الله ولا ينصره جل وعلا وهذا فيمن ركن إلى الظلم فكيف بمن ظلم، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال لكعب بن عجرة: ((يا كعب، أعاذك الله من إمارة السفهاء، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون علي حوضي ومن لم يصدقهم على كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم سيردون علي الحوض، يا عجرة، الناس غاديان مبتاع نفسه فمعتقها، أو بائعها فموبقها))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أعان بباطلٍ ليبطل بباطله حقاً فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله)) هذا والركون الميل إليهم في شيء من الدين أو رضا بأعمالهم أو إعانتهم أو إظهار موالاتهم، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: وما دخولهم في الدنيا يا رسول الله؟ قال: إتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم)).

قوله تعالى: { ولا تيأسوا من روح الله إنَّه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون} [يوسف: 87]، روح الله فرجه وتنفيسه، مأخوذ من الراحة بعد التعب والنسمة بعد النصب، وقوله الكافرون يحتمل كفر النعمة حيث أساءوا الظن بالله وأما المؤمن فهو يرجو

الله سبحانه في الشدائد والبلاء، ويحتمل كفر الجحود حيث اعتقد أن الله غير قادر أو ليس بكريم ونحو ذلك. فدلت هذه الآية على أن أحداً لا ييأس من فرج الله وأنه يحسن الظن بالله تعالى {إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا}، وروي أن رجلاً لف فراخ من غيظه في كساء فاستدارت أمهن على الرجل فكشف لها عن الفراخ فوقعت عليهن فلفهن جميعاً فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: ((ضعهن فوضعهن فأبت أمهن إلاَّ لزومهن فقال صلى الله عليه وآله وسلم: والذي بعثني بالحق نبياً لَ(الله) عز وجل أرحم على عباده من أم الفراخ لفراخها))، وقال علي عليه السلام: (لا تأمنن على خير هذه الأمة عذاب الله لقول الله سبحانه: {فلا يأمن مكر الله إلاَّ القوم الخاسرون} ولا تيأسن لشر هذه الأمة من روح الله، لقوله سبحانه: {إنه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون}، وقال علي عليه السلام: (الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم ييؤسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله).

قوله تعالى: {إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار} [الرعد: 22]، أي يتذكر الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا واللب العقل، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أول ما خلق الله القلم، ثُمَّ خلق الدواة وهو قوله تعالى: {ن~ والقلم وما يسطرون}، ثُمَّ قال له: خط كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة من خلق أو أجل أو رزق أو عمل إلى ما هو صائل إليه من جنة أو نار ثُمَّ خلق العقل فاستنطقه فأجابه فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليَّ منك بك آخذ وبك أعطي أما وعزتي لا كلمتك فيمن أحببت ولا نقصك فيمن أبغضت فأكمل الناس عقلاً أخوفهم لله عز وجل، وأطوعهم له وأنقص الناس عقلاً أخوفهم للشيطان وأطوعهم له))، قوله: {الذين يوفون} يحتمل أن يكون مبتدأ خبره أولئك لهم

عقبى الدار، ويحتمل أن يكون صفة لأولى الألباب، وعهد الله كل ما عهد إلينا وألزمنا من الأوامر والنواهي فالوفاء بأن يأتي بجميع المأمورات وينتهي عن جميع المنهيات ويدخل فيه الوفاء بالعقود والمعاملات ويدخل فيه الأمانات، قوله تعالى: {ولا ينقضون الميثاق}، أي لا ينقضون ما ألزمهم الله وعهد عليهم ولا ما التزمه العبد باختيار نفسه كالنذر بالطاعات ولا ما التزمه العبد بينه وبين المخلوقين من المواثيق، وقوله تعالى: {يصلون ما أمر الله به أن يوصل}، من الأرحام والقرابات ووصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لآية المودة وغيرها من الأخبار كثيرة دالة على وجوب أتباعهم ومودتهم ويدخل فيه قرابة المؤمنين لقوله تعالى: {إنما المؤمنون إخوة}، ونحوه وإيصال الجميع بالبر والإحسان والذب عنهم والشفقة والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم ويدخل فيه

وصل الأيمان وجميع ما أمر الله بوصله. قوله: {ويخشون ربهم}، أي وعيده كله، {ويخافون سوء الحساب}. فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا {والذين صبروا}، أي على الطاعة والبلاء وعن المعصية ابتغاء وجه ربهم أي لا لغرض سواه وهو عام لكل ما يصبر عليه من المكاره التي من الله أو من الخلق لوجه الله تعالى: {وأقاموا الصلاة} كما فرضت {وأنفقوا مما رزقناهم} من الزكاة وغيرها هذا وإن كل الصلاة والزكاة داخلين في الجملة الأولى إلاَّ أنَّه تعالى أفردهما بالذكر تنبيهاً على أنهما أشرف من سائر العبادات، وقوله تعالى: {ويدرأون} أي يدفعون {بالحسنة السيئة} كالجهل بالحلم، والأذى بالصبر، والمنكر بالمعروف، والمعصية بالطاعة، والذنب بالتوبة، وقوله تعالى: {أولئك لهم عقبى الدار}، أي عقبى دار الدنيا وهي الجنة والعقبى عند العرب هي العوض من كل فائت والدار المحمودة هي التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها وهي جنات عدن أي إقامة يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب الجنة والقصور أول دخولهم بالتهنئة ويقولون: سلام عليكم بما صبرتم أي بصبركم في الدنيا فنعم عقبى الدار فنعم عاقبة الدار التي عملتم فيها وما أعقبكم منها وهي أحسن العواقب إذ

هي النعيم الدائم {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين}، فعليك أيها العامل بالعمل بما تضمنت هذه الآية الكريمة تكون من جيران الله في داره العظيمة. ومما يشاكل هذه الآية عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((قسم الله العقل على ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ومن لم يكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله تعالى، وحسن الطاعة له، وحسن الصبر على أمره))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم عند تلاوة: {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاَّ العالمون}، قال:((العالم الذي عقل عن الله عز وجل فعمل بطاعته واجتنب سخطه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما تم دين

إنسان قط حتى يتم عقله))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، ولا صلاة لمن لا يتم ركوعها وسجودها))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يكون العبد مؤمناً حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه والسيد عبده، ويعلم ما مطعمه وما مشربه وما ملبسه أمن حلال ذلك أم من حرام))، وقال إبليس: يا ابن آدم، إذا نلت منك ثلاثاً ما أبالي كيف كانت حالك: إذا اكتسبت المال من غير حله، وأنفقته في غير محله، ومنعت منه حقه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا صلاة لمن لا زكاة له، ولا زكاة لمن لا ورع له))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الإسلام لباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروته العمل الصالح، وعماده الورع ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا ظهر القول، واختزن العمل، وائتلفت الأنفس، واختلفت القلوب، وتقاطعت الأرحام هنالك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: {من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروته، وظهرت عدالته ووجب أجره، وحرمت غيبته))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))، وقال علي عليه السلام: إن الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوقى منه))،

وقال عليه السلام: ((عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شره بالإنعام عليه)، وقال عليه السلام: (من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم)، وقال عليه السلام: (من أطاع التواني ضيع الحقوق، ومن أطاع الواشي ضيع الصديق)، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من اعتذر إلى الله عذره، ومن خزن لسانه ستر الله عورته، ومن كف غضبه كف الله عنه عذابه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من اعتذر إلى

أخيه بعذره فلم يقبلها منه كان عليه مثل خطيئة صاحب المكوس)).

قوله تعالى: {وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون}[إبراهيم: 12] أي قالت الرسل لأممهم هذا أي أيُّ عذر لنا في ترك التوكل عليه وسبلنا طرقنا في الدين ولنصبرن على ما آذيتمونا بأنواع الأذى من الإهانة والضرب والتكذيب وعلى الله لا يتوكل المتوكل إلاَّ عليه، فعليك بالإقتداء بأنبياء الله تكون من أحباء الله فبهداهم اقتده وتوكل واستعمل الصبر واقصر التوكل عليه واترك غيره {ومن يتوكل على الله فهو حسبه} وقال علي عليه السلام: (ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله)، وقال عليه السلام: (من صبر صبر الأحرار وإلا سلا سلو الأغمار)، وقال تعالى: {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}، وقد مدح الله الصبر في كتابه العزيز وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافاً إلى الصبر وأثنى على فاعله: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين} {وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا} {وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا} وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه الصبر في نيف وسبعين موضعاً في كتابه وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: {فاصبر كما صبر أولوا العزم} ويروى لعلي عليه السلام من غير هذه الكتب:

اصبر على مضض الأدلاج في السحر
أني رأيت وفي الأيام تجربة
وقل من جد في أمر يؤمله
وفي الرواح إلى الطاعات في البكر
للصبر عاقبة محمودة الأثر
واستصحب الصبر إلاَّ فاز بالظفر

ولغيره:
ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله
من شد بالصبر كفا عند مؤملة

عند الإله وأنجاه من الجزع
الوت يداه بحبل غير منقطع

قوله تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون}[النحل: 90]، قال أمير المؤمنين: (العدل الإنصاف والإحسان التفضل)، وقال: (ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن). أمر الله سبحانه في هذه الآية بثلاثة أشياء وهي: العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وهي صلة الرحم، ونهى عن ثلاثة أشياء وهي: الفحشاء والمنكر والبغي، الفحشاء كلما تزايد قبحه والمنكر ما ينكره العقل والشرع من الكفر وسائر المعاصي، والبغي الظلم للناس يعظكم بالأمر والنهي لعلكم تذكرون أي لكي تتعضوا وقيل إن هذه الآية قد عمت جميع ما يتعلق بمصالح الدين والدنيا، وعن أبي ذر قلت: يا رسول الله، ما كان صحف إبراهيم؟ قال: ((كانت أمثالاً كلها، أيها الملك المسلط المبتلي المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكني

بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها وإن كانت من كافر. وكان فيها: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا ينجين اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الله سبحانه يحب مكارم الأخلاق لا يدخل الجنة أحد إلاَّ بحسن الخلق))، وعن علي عليه السلام: (إن الله أوحى إلى عبده المسيح: أن قل لبني إسرائيل: لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلاَّ بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأيد نقية وأخبرهم أني لا أقبل منهم دعوة ولا حد من خلقي قبلهم مظلمة)، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من غل شبراً من الأرض طوق به من سبع أرضين يوم القيامة وقتال(1) دون ماله شهادة))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنصفوا الناس من أنفسكم ولا تحملوا على الله ذنوبكم))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا

---

(1) . هكذا في الأم.

يموتن أحدكم وعليه دين فإنه مفتاح كل مظلمة))، وقال علي عليه السلام: ((لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد شكرك عليه من لا تستمتع بشيء منه، وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر والله يحب المحسنين)، وقال عليه السلام: (بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد)، وقال عليه السلام: (اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم)، وقال عليه السلام: (أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه)، وقال عليه السلام: (من سل سيفه البغي قتل به)، وقال علي عليه السلام: (إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة وإقام الصلاة فإنها الملة وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر

ويرحضان الذنب وصلة الرحم فإنه مثراة في المال ومنساة في الأجل وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان)).

قوله تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكم والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيراً للصابرين}[النحل: 126]، سبيل ربك أي دينه المقالة المحكمة وهو الدليل الموضع للحق المزيل للشبه، والموعظة الحسنة التي لا تخفى عليهم إنك تنصحهم وتقصد ما ينفعهم ودخل في ذلك الدعاء بالقرآن والسنة، وقوله بالتي هي أحسن أي بالرفق واللين من غير فضاضة وتلطف بالجهال بلين المقال حتى تستميل قلوبهم، وقوله بمثل ما عوقبتم أمر تعالى برعاية العدل والإنصاف، ولئن صبرتم عن المجازاة فهو أي الصبر خير للصابرين وهذا صريح بأن الأولى ترك الانتقام والرحمة أفضل من القسوة والعفو أفضل من الإيلام، ودلت الآية على لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يخشن إن كفى اللين وعلى أن العفو أحسن من المجازاة، قال أمير المؤمنين: (وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاَّ كنفثة في بحر لجي.. إلى أن قال: وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر)، ومن أمالي المرشد بالله عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((كلام ابن آدم كله عليه ما خلا أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر)) وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من ابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)).

قوله تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً}[الإسراء: 29] أي لا تمسكها عن البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك، ولا تبسطها في النفقة والعطية كل البسط فأمر سبحانه بالاقتصاد، وقوله: ملوماً راجع إلى الأول ومحسوراً أي منقطعاً لا شيء عندك راجع إلى الثاني، قال علي عليه

السلام: (ما عال امرؤ اقتصد)، وقال عليه السلام: (السخاء ما كان ابتداء فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم)، وقال عليه السلام: (كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً)، وقال تعالى: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً} {إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين} { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}.

قوله تعالى: {ولا تقربوا الزنا إنَّه كان فاحشة وساء سبيلاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنَّه كان منصوراً ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا وأوفو الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً}[الإسراء: 38].قوله تعالى: {ولا تقربوا الزنا} هو عطف على ما تقدم من قوله تعالى: {وقضى ربك أن لا تبعدوا إلاَّ إياه وبالوالدين إحساناً} وقوله سبحانه: {وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل} والقربى هنا قربى رسول الله خاطب الله نبيه بأن يؤتيهم حقوقهم من الخمس والغنيمة والفيء، وقوله: {ولا تبذر تبذيراً}، وقوله: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط}، وقوله تعالى: {ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق}، وقوله تعالى: {فاحشة} أي قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلاً يعني سواء السبيل إلى النار، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فإنها تذهب البهاء وتعجل الفناء وتقطع الرزق، وأما التي في الآخرة فسوء الحساب وسخط الرحمن والخلود في النار)). وقوله: {إلا بالحق} أي إلاَّ من قتل بالحق في جميع الأسباب التي يحل بها القتل، وقوله: {فقد جعلنا لوليه سلطاناً} يعني ولي المقتول والسلطان استيفاء القصاص أو أخذ الدية أو العفو فلا يسرف في القتل بل النفس بالنفس ولا مثله ولا يقتل غير القاتل أنَّه كان منصوراً أي الولي أو المقتول النصر

من الله في الدنيا بالقصاص وفي الآخرة بالثواب، وعنه صلى عليه وآله وسلم: ((لا تقتل نفس ظلماً إلاَّ كان على ابن آدم

الأول كفل من دمها ذلك بأنه سن القتل))، وفي أمالي المرشد بالله قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله أبى علي فيمن قتل مؤمناً}، وقوله: {إلا بالتي هي أحسن} أي الخصلة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره حتى يبلغ أشده وهو الرشد لحفظ ماله والقيام به، وفي أمالي المرشد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((يجيء يوم القيامة أقوام وأعمالهم كجبال تهامة يؤمر بهم إلى النار)) قالوا: يا رسول الله، مسلمين؟ قال: ((نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنيئة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه))، فهذا عام في إتلاف أموال الناس وأحق الناس بالنهي عن إتلاف أموالهم هو اليتيم لصغره وضعفه ولذا خصه الله بالذكر في غير موضع))، وقوله: مسئولا. أي مطلوباً من المعاهد الوفاء به يوم الحساب وكم أكد الله الوفاء به في كتابه الذي تمسك به هداه ومن استدل به أرشده بهداه، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود} {الذين يوفون بعهد الله لا ينقضون الميثاق} {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم} {ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها} {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} وكفاك قصة ثعلبة وما ذكر الله من خبره: {ومنهم من عاهد الله.. إلى قوله: فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون} قوله تعالى: {وأوفوا الكيل} والمقصود منه إتمامه وذكر الوعيد الشديد في نقصانه في قوله تعالى: {ويل للمطففين} ثُمَّ قال: {وزنوا بالقسطاس المستقيم}، قال تعالى: {وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان} {ولا تبخسوا الناس أشياءهم} والقسطاس أي الميزان المستقيم أي السوي ذلك الإيفاء خير من التطفيف من حيث أن الإنسان يتخلص عن الذكر القبيح في الدنيا والعقاب في الآخرة، وأحسن تأويلاً أن ما تأول إليه؛ لأن العدل فيه يعول الناس عليه وتميل القلوب إليه، وأما في الآخرة فالثواب

الجزيل، قوله تعالى: {ولا تقف} أي لا تتبع ما ليس لك به علم بالحدس والتوهم، قال علي عليه السلام: (أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً: لا يرجون أحدكم إلاَّ ربه ولا يخافن إلاَّ ذنبه ولا يستحيين أحدكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه وعليك بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد))، ثُمَّ قال تعالى: {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا} فينبغي لكل مسلم أن يحافظ على حواسه ويحول بينها وبين الهوى بجهده قال علي عليه السلام: (من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال إلى قوله: أما إنَّه ليس بين الحق والباطل إلاَّ أربع أصابع، فسئل عن معناه فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثُمَّ قال: الباطل أن تقول: سمعت والحق أن تقول: رأيت، وقال إن لكل ظاهر باطناً على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنة وما خبث ظاهره خبث باطنه) وفي أمالي المرشد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الكذب مجانب للإيمان وإن العبد ليهبط إلى أسفل درك جهنم بالكذب))، وقوله: مرحاً أي بطراً وكبراً، وأمشي لله خاشعاً متواضعاً والمرح شدة الفرح والمراد إن يمشي الإنسان مشياً يدل على الكبر، وخرق الأرض ثقبها فلا يقدر حال الانخفاض على خرقها، وحال الارتفاع لا يقدر على أن يصل إلى رؤوس الجبال بل أنت ضعيفاً(1) عن هذا فلا يليق لك التكبر فتحتك لا تقدر على خرقها وفوقك الجبال لا تقدر على الوصول إليها فأنت محاط بك من فوقك وتحتك بنوعين من الجماد وأنت أضعف منهما بكثير فلا يليق بك التكبر. وفي أمالي المرشد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها مختال ولا منان)) قوله تعالى: {كل ذلك} أي التي نهى الله عنها فيما تقدم {كان سيئه عند ربك مكروهاً} وإذا كانت سيئة بنص القرآن فتجنبها إذ قد توعد مكتسب

---

(1) . هكذا.

السيئات بالعذاب قال تعالى: وكفى بما قاله لمن تدبره ووعاه وخاف من عقابه في منقلبه ومثواه: {والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} ومعنى ترهقهم أي تغشاهم والذلة كناية عن الهوان والتحقير، ومعنى عاصم أي لا يمنعهم أحد من عذاب الله.

وقوله تعالى: {وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً}[الإسراء: 53]، أمر الله سبحانه بالمداراة وأن يقول العباد ما لا يهيج ولا يغري بالعداوة بل يقول المؤمنون للكفار التي هي أحسن وهي نظير: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}. ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن {فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى} فيخاطبوا بالحسن ليصير ذلك سبباً لجذب قلوبهم وميل طباعهم إلى قبول الحق، إن الشيطان ينزع بينهم أي يوسوس ويغري ويفسد، وعدواً مبيناً أي بين العداوة، وهي عامة للكافر والمسلم وإن كانت للكافر فتخاطب المسلمين بالتي هي أحسن أحق وأولى والإحتراس من أن يلقي بينهم العداوة الشيطان أشد وأوجب. وفي أمالي المرشد ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((كن ورعاً تكن أعبد الناس وكن قنعاً تكن أغنى الناس وارض للناس ما ترضى لنفسك تكن مسلماً وأحسن جوار من جاورك تكن مؤمناً وأقل الضحك فإنه يميت القلب))، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويشهد أني رسول الله فليسعه بيته وليبك على خطيئته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويشهد أني رسول الله فليقل خيراً ليغنم أو ليسكت عن شر))، وقال علي عليه السلام: (ازجر للمسيء بثواب المحسن).

قوله تعالى: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره

فرطاً}[الكهف: 28] اصبر أي احبس نفسك بالغداة والعشي أي دائبين على الدعاء في كل وقت أو أراد الفجر والعصر ووجهه أن تعظيمه ورضاه لا لغرض سواه، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله))، رواه في أمالي المرشد، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس: ((يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا على ذلك أو يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك، اعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً فإن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً، قال: كيف أصنع باليقين يا نبي الله؟ قال: إن تعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك وأن ما أصابك لم يكن ليخطيك فإذا أنت قد فتحت باب اليقين))، قوله: {ولا تعد عيناك عنهم} أي تنصرف عنهم لرثاثتهم إلى غيرهم من ذوي الزينة وعن أبي ذر أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصاني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم))، قوله: {تريد زينة الحياة الدنيا} وهي ما يقطع عن الله سبحانه فنهى صلى الله عليه وآله وسلم أن تزدري فقراء المسلمين طموحاً إلى زي الأغنياء، وهذا الأدب لجميع الخلق، وفي أمالي المرشد عن علي عليه السلام، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من بيته حتى يأتي ضعف المسلمين فيقعد معهم وهو يقول: ((هؤلاء الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم))، وفيها عن عمار سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يقول لعلي عليه السلام: ((إن الله عز وجل زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها الزهد في الدنيا وحبك للمساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً))، وفيها قال علي عليه السلام: (الدنيا جيفة وطلابها كلاب فمن أراد أكل الجيف فليصبر على مخالطة الكلاب).

قوله تعالى: {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا}[الكهف: 28] أي القرآن واتبع ما دعته إليه نفسه، وفرطا أي إسرافاً والمجاوزة في القدر بما لا يجوز، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن عيسى عليه السلام قال للحواريين: تحببوا إلى الله عز وجل وتقربوا إليه قالوا: يا روح الله، بما نتحبب إلى الله ونتقرب إليه؟ قال: ببغض أهل المعاصي والتمسوا رضاء الله بسخطهم)) وفي أمالي المرشد بالله قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ألقوا أهل المعاصي بالوجوه المكفهرة)).

وقوله تعالى: {فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}[الكهف: 110] يرجو أي يأمل لقاء ربه البعث والنشور أو ثواب ربه، وصالحاً أي مطابقاً للكتاب والسنة، ولا يشرك أي لا يرائي بعبادة ربه أحداً، وسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الجهاد في سبيل الله فإن الرجل يجاهد ليغنم ويجاهد ليذكر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من جاهد لتكون كلمة الله هي العلياء فهو جهاد في سبيل الله))، وفي أمالي المرشد بالله، عن علي عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا سول الله، إني أعمل العمل أسره فيطلع عليه فيعجبني فنزلت: {فمن كان يرجو لقاء ربه..} الآية، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قام بخطبة لا يلتمس بها إلاَّ رياء وسمعة وقفه الله عز وجل يوم القيامة موقف رياء وسمعة))، وفيها قال صلى الله عليه وآهل وسلم: ((يا بقايا العرب: إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من يرائي يرائي الله به ومن يسمع يسمع الله به))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سمع الناس بعلمه سمع الله به سامع خلقه يوم القيامة وحقره وصغره))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه في النار))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أسروا ما شئتم فو الله ما أسر عبد إلاَّ لبسه الله رداها إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر حتى لو أن أحدكم أسر شراً من وراء سبعين حجاباً لأظهره الله عليه ذلك الشر حتى

يكون ثناؤه في الناس شراً))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله تعالى إذا جمع الأولين والآخرين ببقيع واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي يقول: ((أنا خير شريك، من كان يعمل عملاً في الدنيا كان لي فيه شريك فأنا أدعه اليوم ولا أقبل إلاَّ خالصاً ثُمَّ قرأ {إلا عبادك منهم المخلصين}،

{ومن كان يرجو لقاء ربه..} الآية، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى يرائي أشرك ومن صام يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أدنى الرياء الشرك وأحب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا ماتوا لم يفقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم))، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((حب الثناء من الناس يعمي ويصم)).

قوله تعالى: {ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى}[طه: 132] أي لا تمد نظرهما إلى ما متعنا به أي جعلناه بلغة نمتعهم به إلى حين، والنظر المنهي عنه هو أن يطول نظره استحساناً وإعجاباً وتحسراً وتلهفاً، بل يعدل إلى الزهد في هذه الدنيا الفانية وقوله: أزواجاً أي أصنافاً والزهرة زينة الدنيا وبهجتها لنفتنهم فيه أي ليبلوهم فيستوجبوا العذاب إن لم يشكروا ورزق ربك في الجنة خير مما أوتوه وأبقى من حطام الدنيا الفانية وكذا ما رزق المؤمنين من الحلال خير من هذا؛ لأنَّه لا يخلوا أموال الظلمة في الغالب من الحرام، وعن علي عليه السلام: (من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه مما في يده)، وقال: (عباد الله انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها فإنها والله عن قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع المترف إلاَّ من لا يرجع ما تولى منها فأدبر ولا يدري ما هو آت منها فينتظر سرورها مشوب بالحزن وآخر الحياة إلى الضعف والوهن فلا يغرنكم كثر ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها)، وفي أمالي المرشد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربع خلال مفسدة للقلب: مجارات الأحمق، فإن

جاريته كنت مثله وإن سكت عنه سلمت منه، وكثرة الذنوب مفسدة للقلب وقد قال تعالى: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}،

والخلوة بالنساء والاستمتاع منهن والعمل برأيهن، ومجالسة الموتى))، قيل يا رسول الله: من الموتى؟ قال: ((كل غني قد أطغاه غناه))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لن يعدو المؤمن أحد خلتين دمامة في وجهه أو قلة في ماله))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال الله تبارك وتعالى: ((يابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غناً وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك))، وفيها عن عائشة قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما يكفيك من الدنيا كزاد الراكب فإن سرك اللحوق بي فإياك ومخالطة الأغنياء ولا تستبدلي ثوباً حتى ترقعيه))، قوله تعالى: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها} أي أقبل عليها أنت مع أهلك واستعينوا بها على حوائجكم وخصاصتكم لا نسألك رزقاً أي لا نكلفك رزقاً لنفسك ولا لغيرك نحن نرزقك فلا تهتم بأمر المعيشة فإنك تكفى ففرغ بالك لأمر الآخرة والعاقبة أي الجنة لأهل التقوى. وفي أمالي المرشد عنه صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((أوحى الله إلى الدنيا من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فذريه))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق هواهم وما خالف هواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والأجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك إلاَّ بالسعي من الحق الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تستبطئوا الرزق واتقوا الله أيها الناس واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم))، قال في الشفاء: ومما ذكره في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعني الأمير في صحاح الأخبار أنَّه قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الصلاة مرضاة للرب وحب للملائكة وسنة الأنبياء ونور للمعرفة وأصل للإيمان

وإجابة للدعاء وقبول للأعمال وبركة في الرزق وراحة في البدن وسلاح على الأعداء وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره وفراش تحت جنبه وجواب منكر ونكير مؤنس وزائر معه إلى يوم القيامة فإذا كانت القيامة كانت ظلاً فوقه وتاجاً على رأسه ولباساً على بدنه ونوراً يسعى بين يديه وستراً بينه وبين النار وحجة للمؤمن بين يدي الرب وثقلاً في الميزان وجوازاً على الصراط ومفتاحاً إلى الجنة؛ لأن الصلاة تسبيح وتحميد وتهليل وتقديس وعظيم وقراءة ودعاء وتمجيد؛ لأن أفضل الأعمال كلها الصلاة لوقتها)).

قوله تعالى: {وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمين الصلاة ومما رزقناهم ينفقون} [الحج: 35] المخبتين المطيعين المتواضعين من الخبت وهو المطمئن من الأرض يعني الخاشعين، ثُمَّ وصفهم تعالى بأنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت وفزعت هيبة لجلاله وبطشه بالعصاة فتقشعر جلودهم من خشيته تعالى، والصابرون على ما أصابهم من المحن والمصائب، والمقيمي الصلاة على ما أمروا من تمامها في أوقاتها، ومما رزقناهم ينفقون أي يتصدقون زكاة وغيرها، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يبشر هؤلاء ونعم البشارة دار الكرامة. قال أمير المؤمنين للأحنف: (ادع أصحابي فدعاهم فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم أشنان بوالي فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي نزل بهم من قلة الطعام أم من هول الحرب؟ فقال عليه السلام: لا يا أحنف إن الله إذا أحب قوماً تنسكوا في دار الدنيا نسك من هجم على ما علم من فزع يوم القيامة من قبل أن يشاهدوها فحملوها أنفسهم كل مجهودها فكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله تعالى توهموا خروج عنق من النار يحشر الخلائق إلى ربهم عز وجل وظهور كتاب تبدوا فيه فضائح ذنوبهم فكادت أنفسهم تسيل سيلاناً وتطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانا وتفارقهم عقولهم إذا غلت بهم مراجل المرد إلى الله تعالى غلياناً يحنون حنين الواله في دجا الظلم ذبل الأجسام حزينة قلوبهم كالحة وجوههم ذابلة شفاههم خميصة

بطونهم تراهم سكارى وليسوا بسكارى هم سمار وحشة الليالي متخشعون قد أخلصوا لله أعمالهم سراً وعلانية فلو رأيتهم في ليلهم وقد نامت العيون وهدأت الأصوات وسكنت الحركات من الطير في الوكور وقد نهبهم يوم الوعيد ذلك قوله تعالى: {أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون} فاستيقظوا لها فزعين فقاموا إلى مصافهم يعولون ويبكون تارة ويسبحون ليلة مظلمة بهما فلو رأيتهم يا أحنف قياماً على

أطرافهم منحنية ظهورهم على أجزاء القرآن لصلاتهم إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى خلامهم وإذا عولوا حسبت السلاسل قد صارت في أعناقهم ولو رأيتهم في نهارهم إذاً لرأيت قوماً يمشون على الأرض هوناً ويقولون للناس حسناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً وإذا مروا باللغو مروا كراماً أولئك يا أحنف تنجعوا دار السلام.. إلى آخر كلامه عليه السلام) وفي أمالي المرشد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((على كل مسلم صدقة))، قيل يا رسول الله: أرأيت إن لم نجد؟ قال: ((يعتمد بيده فينفع نفسه ويتصدق))، قيل: يا رسول الله، أرأيت فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: ((يعين ذا الحاجة الملهوف)) قيل: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: ((يأمر بالمعروف أو الخير))، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: ((يمسك عن الشر فإنه له صدقة)).

قوله تعالى: {قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون..} إلى قوله: {والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون}[المؤمنون: 11] حكم الله للمؤمنين الذين هم بهذه الأخلاق متصفين بوراثة الفردوس خالدين، فاتصف بصفاتهم تكن من الفائزين ولا تجانب طريقهم فتكن من الخاسرين قوله: خاشعون أي ساكنون متواضعون والخشوع في الصلاة

خشية القلب وسكون الأعضاء وإلزام البصر موضع السجود لا يجاوز بصره مصلاه، وروى القاسم بن إبراهيم عليه السلام أن علي ابن أبي طالب قال لعبد الله بن جعفر: (إذا قمت إلى الصلاة فارفع بصرك موضع سجودك ثُمَّ استفتح بالقراءة فتجعل لسانك ترجماناً لقلبك لا يغيب قلبك مما يقول لسانك لا تعبأ بشيء من شأنك إلاَّ بما أنت فيه من صلاتك لا تذكر في تلاوتك غير ما تتله ويكون همك الآية التي تتلوها فإذا فرغت من القراءة وصرت إلى الركوع لم تذكر إلاَّ التكبير وحسن الخضوع وكذلك إذا اعتدلت في القيام لم تذكر إلاَّ الركوع وكأن ذكرك السجود فإذا فرغت من ركعة حفظها ثُمَّ ابتدأت الأخرى تصنع فيها كما صنعت في الأولى لا تذكر غير قراءتك وغير حفظك لأن الصلاة لا بد لها أن تحصى لا يزاد فيها ولا ينقص منها حتى تؤدى إلى الله عز وجل فرضك كما أمرك بعونه وتوفيقه)، وروى ولده محمد بن القاسم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله لا يقبل صلاة عبد لا يحضر فيها عقله مع بدنه)) انتهى. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا أنس: صل صلاة مودع ترى أنك لا تصلي بعدها أبداً واضرب ببصرك موضع سجودك حتى لا تعرف من عن يمينك ولا من عن يسارك، واعلم أنك بين يدي من يراك ولا تراه))، وفي أمالي المرشد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال: صلاة الليل مثنى مثنى يتشهد في كل ركعتين ثُمَّ

تضرع وتخشع وتمسك وتفتح يديك ترفعهما إلى ربك تقول: يا رب يا رب فمن لم يفعل ذلك فهي خداج))، وفي ينابيع النصيحة للأمير الحسين عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن العبد ليصل الصلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ركعتان خفيفتان في ذكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وإن القوم يكونون في صلاتهم بينهم من الفضل كما بين السماء والأرض))، واللغو: الباطل والكذب وما لا يعني من قول أو فعل وهو ما يوجب الشرع أو المروة إلغاؤه وإطراحه كاللعب والهزل وفعلهم للزكاة تأديتها، وفي أمالي المرشد عنه

صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء قدر ما يسعهم فإن منعوهم حتى يجوعوا ويعروا ويجهدوا حاسبهم الله حساباً شديداً وعذبهم عذاباً نكرا))
والذين هم لما ائتمنوا عليه ولعهدهم قائمون عليها بالحفظ وافون بها وذلك عام لكل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا عليه من الله تعالى ومن الخلق، ويحتمل الخصوص في أمانات الناس وعهدهم ويؤيد الأول ما في أمالي المرشد، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا إخواني، تناصحوا في العلم ولا يكتمن بعضكم بعضاً فإن خيانة الرجل في علمه أشد من خيانته في ماله))، ومحافظتهم على صلواتهم تأديتها في أوقاتها مجتهدين فيما يتم بها أوصافها، وفي أمالي المؤيد بالله عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أسبغ وضوءه وأحسن صلاته وأدى زكاة ماله وخزن لسانه وكف غضبه وأدى النصيحة لأهل بيت رسول الله فقد استكمل حقائق الإيمان وأبواب الجنة مفتحة له)).

قوله تعالى: {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذي هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون}[المؤمنون 61] مشفقون أي خائفون من عذابه ويؤمنون أي يصدقون ولا يشركون أي في الإلهية والعبادة ويؤتون ما أتوا أي ما أعطوا لوجه الله من أنواع الصدقات والضيافات ونحوها، وقلوبهم خائفة أن لا يقبل الله منها الصدقات وسائر الطاعات، ثُمَّ أنَّه سبحانه بين علة ذلك الوجل وهي علمهم برجوعهم إلى جوار ربهم ولا يدري ما يصنع الله به لأجلها وهل وقعت مخلصة له عن عهده ما لزمه أم لا ثُمَّ إنَّه سبحانه لما ذكر هذه الصفات للمؤمنين المخلصين قال: {أولئك يسارعون في الخيرات} أي يبادرون فيستكثرون منها لأن المسارع إلى الشيء مستكثر منه وراغب فيه، وقيل: يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كقوله تعالى: {فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة} {وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين} لأنهم إذا سورع لهم بها فقد سارعوا في نيلها وهذا أحسن طباقاً للآية الأولى لأن فيه إثبات ما نفي عن الكفار

في قوله قبلها: {أيحسبون أنّما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات))، وعن علي عليه السلام: (إن المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلاَّ ونفسه ظنون عنده فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً لها))، وقال في صفة المتقين: (لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون من علامة أحدهم يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل)).

قوله تعالى: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة}[النور: 19] تشيع أي تنتشر وتذيع فتدل على قبح حب ذلك وعلى تحريم إشاعتها أولى لذا توعد المحبين بأن لهم عذاب أليم في الدنيا وهو الحد والآخرة وهو النار لمن لم يتب، فعلى المؤمن أن يحب المؤمن في الله وأن يرى له ما يرى لنفسه ومن أحب إشاعة الفاحشة فيه لم يتأتى له ذلك. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تزال أمتي بخير ما تحابوا وأدوا الأمانة واجتنبوا الحرام وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين، ومن سمع مسلماً ينادي: يا للمسلمين فلم يجب فليس من المسلمين))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وتنتقص فيه من عرضه إلاَّ خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ نصر مسلماً في موطن ينتقص فيه عرضه وينتهك فيه من حرمته إلاَّ نصره الله في موطن يحب فيه نصرته)).

قوله تعالى: {في بيوت إذ الله أن ترفع ويذك فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو الآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب}[النور: 38] في بيوت متعلق بيسبح للآتي أو بما قبله أي المشكاة في بعض بيوت وهي المساجد وترفع أي تعظم وتذكر فيها أسماؤه الحسنى والتسبيح تنزيه وقد يكون

التسبيح بمعنى الصلاة بالغدو أي البكر والآصال من بعد الزوال أو العصر، ورجال مرفوع بيسبح وهم قوم من المؤمنين وصفهم الله سبحانه بقوله: لا تلهيهم تجارة وهي تعم البيع والشراء وذكر البيع ثانياً قيل؛ لأنَّه أدخل في الهاء من حيث أن الربح قد تعين فيه، ويجوز أن يراد بالتجارة الشراء فقط وتتقلب أي تضطرب فيه القلوب من الهول وتشخص فيه الأبصار فلا تقر في مكانها من الفزع، وبغير حساب أي تفضلاص فأما الثواب فله حساب؛ لأنَّه على حسب الاستحقاق هكذا قيل. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجل خرج من بيته فأسبغ الطهور ثُمَّ مشى إلى بيت من بيوت الله عز وجل ليقضي فريضة من فرائض الله فهلك فيما بينه وبين ذلك، ورجل قام في جوف الليل بعد ما هدأت العيون فأسبغ الطهور ثُمَّ قام إلى بيت من بيوت الله عز وجل فهلك فيما بينه وبين ذلك))، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أخرج أذى من مسجد كانت له حسنة والحسنة بعشر أمثالها، ومن أدخل أذى في مسجد كان عليه سيئة والسيئة واحدة))، ومن كلام لعلي عليه السلام يوصي به أصحابه: (تعاهدوا أمر الصلاة حافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فإنه كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تستمعوا إلى جواب أهل النار حين سئلوا: {ما سلكم في سقر قالوا لم نك من المصلين} وإنها لتحت الذنوب حت الورق ويطلقها إطلاق الريق) وشبهها رسول الله بالمخمة(1)

---

(1) .كذا وهي الماء الحار.

يكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى أن يبق عليه من الدرن، وقد عرف حقها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال، يقول الله سبحانه: {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزّكاة}، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصباً بالصلاة بعد

التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها}، وكان يأمر أهله ويصبر عليها نفسه، ثُمَّ أن الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام فمن أعطاها طيب النفس بها فإنها تجعل له كفارة ومن النار حجازاً ووقاية فلا يتبعنها أحد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه وإن من أعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الأجر ضال العمل طويل الندم. وفي أمالي المرشد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال الله عز وجل: لا إله إلاَّ الله حصني فمن دخله أمن من عذابي))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أفضل الذكر لا إله إلاَّ الله وأفضل الدعاء الحمد))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كان آخر كلامه لا إله إلاَّ الله دخل الجنة))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من هلل مائة وكبر مائة كانت خيراً له من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها عند بيت الله الحرام))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك؟ قال: قل يا موسى: لا إله إلاَّ الله، قال: كل عبادك يقول هذا، قال: قل لا إله إلاَّ الله، قال: لا إله إلاَّ أنت إنَّما أريد شيئاً تخصني به؟ قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وبحارهن والأرضين السبع في كفة ولا إله إلاَّ الله في كفة ما لت بهم لا إله إلاَّ الله))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله ليلوم على العجز فابل من نفسك الجهد فإن غلبت فقل توكلت على الله أو حسبي الله

ونعم الوكيل))، وفيها قال رجل يا رسول الله: إن سنن الإسلام وشرائعه قد كثرت عليَّ فأنبئني بأمر من أمر الإسلام أتشبث به؟ قال: ((لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من عجز منكم عن العَدوِّ أن يجاهده وعن الليل أن يكابده فليكثر من ذكر الله تعالى)) وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال الله: إذا اشتغل عبدي بذكر عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)).

قوله تعالى: {وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا

سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً..} إلى قوله: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً..} إلى قوله: {والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً..} إلى قوله: {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً}[الفرقان: 75] وعباد الرحمن أي عباده حقاً ووصفهم بتسعة أنواع من الصفات: الأولى: يمشون الهون أي بالسكينة والوقار والتواضع. الثانية: إذا خاطبهم السفهاء بما يكرهون قالوا قولاً حسناً جميلاً. الثالثة: يبيتون يصلون بالليل. الرابعة: إنهم مع هذه الصفات خائفون مبتهلون إلى ربهم في صرف العذاب عنهم، والغرام العذاب الشديد أو اللازم أو الثقيل. الخامسة: إنهم متوسطين في الإنفاق لا إسراف وهو الإنفاق في غير حق أو لغير حاجة، ولا إقتار وهو التضييق فيه وقواماً وسطاً. السادسة: لا يشركوا ولا يقتلوا النفس المحرمة ولا يزنون ومن يفعل بعض الثلاث يلق أثاماً أي عقوبة {إلاَّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً}. السابعة: لا يشهدون الزور أي لا يحضرون مجالس الكذب والباطل ولا يشهدون شهادة الزور أي لا ينطقون به وإذا مروا بأهل اللغو وهو القبيح من الكلام مروا معرضين مكرمين لأنفسهم عن الوقوف

معهم. الثامنة: إذا وعظوا بالقرآن سمعوا الوعظ فلم يصموا عنه وأبصروا الرشد فلم يعموا عنه، والخرور السقوط أي لم يكبوا إلاَّ للحرص على الإستماع. التاسعة: سألوا أن يرزقوا أزواجاً وأولاداً تقر بهم عيونهم من القر وهو الرد كناية عن الفرح بهم في الدنيا بإطاعة الله والصلاح وفي الآخرة بالجنة، وإماماً أي قدوة يهتدى بهم في الخير، أولئك المتصفين بما سبق يكافون على صبرهم بالغرفة وهي إعلاء مساكن الجنة، فاستمسك بهذه الصفات تكن من عباد الله الصالحين وتفوز بما وعد به عباده المتقين. قال أمير المؤمنين عليه صلاة رب العالمين حين سئل عن وصف المتقين فقال عليه السلام: (فالمتقون فيها هم أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الإقتصاد ومشيهم التواضع غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم

ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم بذلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي بذلت في الرخا، لولا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كما قد رأوها فهم فيها منعمون وهم والنار كما قد رأوها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم إرادتهم الدنيا ولم يريدوها وأسرتهم فقدوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلاً يحزحزون بها أنفسهم ويستثيرون به دواءهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وطلعت نفوسهم إليها شوقاً وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم متفرشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم

الخوف برى القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، ويقول: قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون، إذ زكي أحداً منهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم مني بنفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي مما يعلمون في علامة أحدهم إنك ترى له قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين وحرصاً في علم وعلماً في حلم وقصداً في غنى وخشوعاً في عبادة وتجملاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى وتحرجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذراً ويصبح فرحاً حذراً لما حذر من الغفلة وفرح لما أصاب من الفضل والرحمة إن استصعبت عليه نفسه فيما يكره لم يعطها سؤلها فيما تحب، قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج العلم

بالحلم والقول والعمل، تراه قريباً أمله قليلاً زَلَلُه خاشعاً قلبه قانعة نفسه منزوراً أكله سهلاً أمره حريزاً دينه ميتة شهوته مكظوماً غيظه الخير منه مأمول والشر عنه مأمون إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيداً فحشه ليناً قوله غائباً منكره ناظراً معروفه مقبلاً خيره مدبراً شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالألقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق إن صمت لم يغمه صمته وإن ضحك لم يعل صوته وإن بغي عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه

ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده تكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة) انتهى كلام باب مدينة العلم المبين للأمة ما آتى به نبيها عن ربه وصلى الله على محمد وآله. قوله تعالى: {إن الله لا يحب الفرحين} أي الذين أبطرتهم النعم وهذا الفرح المذموم لا الفرح الذي لا يبطر ولا يخرج عن الشكر فهو ذو الإعتراف بنعمة الله {وأما بنعمة ربك فحدث}.بل القبيح ما أَدّى إلى الإستطاعة والعجب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث مهلكات: هواء متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر مَنْ سَفِهَ الحق وازدرى الناس)) رواهما في أمالي المرشد. وذلك فعل قارون حين خرج على قومه في زينته قال علي عليه السلام: (من نال استطال)، وقال: (العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى). قوله تعالى: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين} الدار الآخرة أراد الجنة وتلك تعظيم وتفخيم لشأنها، وعموم الآية يقضي بدخول من أراد أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيعلو عليه بذلك، وكذلك البغي، والعاقبة للمتقين

قد مضى لك وصف المتقين في آل عمران الذين ينفقون في السراء والضراء.. الخ، وَوَصْفُ أمير المؤمنين لهم عند آية الفرقان، قال: (الفضل ذهبت الأماني هاهنا) فعند هذه الآية لا ينبغي إلاَّ ترك إرادة كل ما كان للدنيا واحتقاره فلا ينافس في عزها ورياستها وتنزل حيث نزلها خالقها. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاَّ ما كان لله عز وجل))، رواه في أمالي المرشد، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن حقاً على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلاَّ وضعه))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرعة))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((بئس العبد عبد تجبر

واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تكبر واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد باع الدين بالدنيا، بئس العبد عبد تكبر وزها ونسي المبتدأ والمنتهى، بئس العبد عبد بخل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد باع الدين بالدنيا، بئس العبد عبد خلط الدين بالشبهات، بئس العبد عبد يرده الرغب عن الحق))، قوله ولا فساداً أي ظلماً وجوراً فتعلق الوعيد بإرادتهما فكيف بفعلهما مع الإرادة. قوله تعالى: {وما هذه الحياة الدنيا إلاَّ لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون} فالإقبال على الباطل للذة يسيرة زائلة لعب والإعراض عن الحق له والآخرة ليس فيها إلاَّ حياة مستمرة لو كانوا يعلمون صحة ما قلنا لآثروا الآخرة على الدنيا، قال علي عليه السلام: (ما خُلِقَ امرئ عبثاً فيلهو ولا ترك سداً فيلغوا وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده، وما المغرور الذي ظفر من الدنيا بأعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته) أي نصيبه. وقال عليه السلام: (يا أسرى الرغبة اقصروا فإن المعرج على الدنيا لا يروعه منها إلاَّ صريف أنياب الحدثان). قوله تعالى: {يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس وال تمشي في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من

صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير}، قال عليه السلام: (الصلاة قربان كل تقي) وفي أمالي المرشد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الصلاة خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء استكثر))، وفيها وقال علي عليه السلام: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة إذا أقيمت استقامت السنن)) وفيها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفسي بيده ليخرجن من أمتي ناس من قبورهم في صورة القردة والخنازير مما داهنوا أهل المعاصي وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون))، قوله:

{واصبر على ما أصابك} أي بسبب الأمر والنهي إن في ذلك المذكور من عزم الأمور أي مقطوعاتها وواجباتها ولا تصعر خدك للناس أي لا تمل وجهك تكبراً بل أقبل على الناس بوجهك والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه، وقوله مرحاً أي خيلاء والمختال المتكبر والفخور المتطاول على الناس بنفسه المفتخر عليهم بما معه من مناقبه، واقصد في مشيك كن وسطاً وامش بالوقار والسكينة. وفي أمالي المرشد بالله قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، قال رجل يا رسول الله: إنَّه ليعجبني أن يكون ثوبي غسيلاً ورأسي دهيناً وشراك نعلي جديداً وذكر أشياء حتى ذكر علاقة السوط أفمن الكبر ذلك؟ قال: لا ذلك الجمال لأن الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر من سفه الحق وازدرى الناس))، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رأس التواضع ثلاثة: الابتداء بالتسليم على كل أحد والرضى بالمجلس عن شرف المجلس ومحبة العبد المساجد وترك الرياء والسمعة في شيء من دينه))، وقال علي عليه السلام: (فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد وقد كان عَبَدَ اللهَ ستة آلاف سنة لا يدري أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة على كبر ساعة واحدة فمن بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكا إن حكمه في أهل السماء والأرض لواحد) قوله: {واغضض من صوتك}أي أخفض منه {إن أنكر

الأصوات} أي أقبحها لصوت الحمير ولاذم للحمير إنَّه لذوي الألباب أن يتشبهوا بالحمير التي لا عقول لها فأول صوتها زفير وآخره شهيق)، وقال زيد بن علي عليه السلام أراد الجهال من الناس. قوله تعالى: {إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً

ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرت أعين جزاء بما كانوا يعملون} أي إنَّما يصدق بالقرآن الذين إذا وعظوا به سجدوا لله خاضعين طائعين وسبحوا بحمد ربهم نزهوه وأثنوا عليه غير مستكبرين عن الإيمان والطاعة تتجافى جنوبهم أي ترتفع وتتنحى عن الفرش يقومون ويقعدون يدعون ربهم خوفاً من العذاب وطمعاً في الرحمة ومما رزقناهم ينفقون، في وجوه الكبر فلا تعلم نفس ما أخفي لهم ليوم القيامة مما تقر به عيونهم من الثواب ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمع وراءها. قال في البرهان: روينا عن آبائنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنَّه قال: ((قال الله تعالى: إني أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) ثُمَّ قال تعالى: {جزاءاً بما كانوا يعملون} من فِعل الطاعات. وفي أمالي المرشد عن معاذ قلت يا رسول الله: حدثني بعمل يدخل به العبد الجنة إذا عمله؟ قال: ((بَخٍ بَخٍ سألت عن عظيم وإنه يسير على من يسره الله عليه: يقيم الصلاة المكتوبة ويؤدي الزكاة المفروضة ولا يشرك بالله شيئاً وسأنبئك بأبواب من الخير الصيام جنة وقيام العبد في جوف الليل يبتغي مرضاة الله ثُمَّ تلى هذه الآية: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أشرف أمتي حملة القرآن قوام الليل))، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم إلى ربكم ومغفرة ومكفرة لسيئات اللسان ومنهاة عن الإثم))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى ثماني ركعات في الليل سوى الوتر يداوم عليها حتى يلق الله بهن فتح الله عليه اثنى عشر باباً من الجنة))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ركعتان في نصف الليل الآخر أفضل من الدنيا

وما فيها))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((صلاة السر تضعف على صلاة العلانية سبعين ضعفاً))، وعن علي عليه السلام: (صلاة الليل

مثنى مثنى وصلاة النهار إن شئت أربعاً وإن شئت مثنى)، وعن علي عليه السلام: (عزائم سجود القرآن أربع: ألم تنزيل السجدة، وحم السجدة، والنجم، واقرأ باسم ربك الذي خلق) وفي أمالي المرشد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة منها ركعتان يصليهما وهو جالس، ويصلي إذا طلع الفجر ركعتين قبل أن يصبح فذلك ثلاثة عشر ركعة. وفيها عن عبد الله يرفعه، قال: ((ثلاثة يحبهم الله عز وجل: رجل قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجل تصدق بصدقة يخفيها عن شماله، ورجل كان في سرية فانهزم أصحابه فاستقبل العدو))، قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً))، ذكر الله بالقلب واللسان والتسبيح وإن كان من جملة الذكر إلاَّ أنَّه قيل: إنما أختصه من بين أنواعه لتبيين فضله على سائر الأذكار؛ لأن معناه تنزيه الله عما لا يجوز عليه، والبكرة أول النهار والأصيل آخره، قال علي عليه السلام: (أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر) وفي أمالي المرشد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((سبحان الله نصف الميزان والحمد لله ملأ الميزان والله أكبر ملأ السموات والأرض ولا إله إلاَّ الله ليس دونها ستر ولا حجاب حتى تخلص إلى ربها))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من تعار(1) من الليل على فراشه فقال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر اللهم اغفر لي إلاَّ غفر اله له)). قوله تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً} قيل الصلاة من الله الرحمة والكرامة ومن الملائكة الإستغفار والدعاء، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشر صلوات ومحا عنه عشر سيئات وأثبت له عشر حسنات استبق ملكاه الموكلان بها أيهما يبلغ روحي منه السلام

(1) . التعار: السهر والتقلب على الفراش ليلاً. تمت

))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لقيني جبريل صلى الله عليه وسلم فبشرني قال إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم تضاعف فيه الأعمال))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من ذكرت عنده فلم يصل عليّ خطي طريق الجنة)) والأخبار في الصلاة على الآل معه كثيرة. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ وعلى أهل بيتي فإنها تذهب بالنفاق))، وفي أمالي المرشد لما نزلت هذه الآية: {إن الله وملائكته يصلون على النبي..} الخ. جاء رجل فقال: يا رسول الله، قد عرفنا السلام فكيف الصلاة عليك؟ فأخذ بيده ثُمَّ قال: ((اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد فذكر الخمس صلوات ثُمَّ قال: خذها يا علي خمساً فإنك من أهلها))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا صليتم عليّ فصلوا علي وعلى أهلي وعلى أنبياء الله ورسله كانوا قبلي فإنهم قد بعثوا كما بعثت))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن صلوات الله على النبي مغفرته)). قوله تعالى: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيرما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً} بغير ما اكتسبوا أي بغير جناية ولا استحقاق وبهتان بهت به من لم يفعله، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من استذل مؤمناً أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله يوم القيامة ثُمَّ يفضحه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أربى الربا الاستطالة في عرض مسلم))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال ما ليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تل من النار حتى يخرج مما قال))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن فوق ثلاث))، وزاد في بعض الروايات: يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام

)). قوله تعالى: {إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنَّه غفور شكور} يتلون أي يقرؤون وقيل يداومون على تلاوته وأقاموا الصلاة أداموها كاملة وأنفقوا أي الزكاة وغيرها لن تبور أي تهلك والبائر من العمل هو الهالك الذاهب الباطل أي لن تكسد وتذهب وأجورهم ثواب أعمالهم والزيادة إما المضاعفة أو نحوها إنَّه غفور للذنب شكور لأعمالهم، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف منه عشر حسنات أما إني لا أقول ألف ولام ولكن ألف عشراً ولام عشر))، وعن علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أحق الناس بالصلاة الكثيرة في السر والعلانية حامل القرآن(1) وإن أحق الناس بالصوم الكثير حامل القرآن وينبغي لحامل القرآن أن يعرف في ليله إذا الناس نيام وفي نهاره إذا الناس يتبطلون وفي بكائه إذا الناس يضحكون وفي حزنه إذا الناس يفرحون وفي صمته إذا الناس يخوضون... إلى أن قال: يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ويدفع عن تالي القرآن بلوى الآخرة))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير صلاة وقراءة القرآن في غير صلاة أفضل من ذكر الله وذكر الله تعالى أفضل من الصدقة والصدقة أفضل من الصيام والصيام جنة من النار))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من امرئ يقرأ القرآن ثُمَّ ينساه إلاَّ لقي الله يوم القيامة أجذم))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه))، وكان صلى الله عليه وآله وسلم لا يبيت ليلة حتى يقرأ ألم السجدة وتبارك. وفي أمالي المرشد: ((أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن وإن أفضل العبادة الدعاء))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((فضل القرآن

---

(1) . إن أحق الناس بالخشوع الكثير حامل القرآن. صح اصل.

على سائر الكلام كفضل الله على خلقه))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له حسنة مضاعفة ومن تلا آية من كتاب الله عز وجل كانت له نوراً يوم القيامة))، وفيها رواية أجر من قرأ كل سورة. وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قل هو الله أحد ثلث القرآن))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ مائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة))، وفيها عنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق في الدرجات، ورتل كما كنت ترتل فإن منزلتك آخر آية تقرأها))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ ياسين لكتب له بقراءته قراءة القرآن عشر مرات)). قوله تعالى: {أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنَّما يتذكر أولو الألباب} المعنى: أمن هو قانت قائم بوظائف الطاعات أناء الليل ساعاته ساجداً وقائماً في الصلاة يحذر الآخرة يخاف عذابها ويرجو رحمة ربه أي جنة ربه كمن هو عاص لا يستويان كما لا يستوي العالم العامل والجاهل وإنما يعظ أصحاب العقول ويعرف التفاوت بينهما إذ لا يعرف التفاوت العظيم بين العالم والجاهل إلاَّ أولوا الألباب. وعن علي عليه السلام، قال: (عالم أفضل من ألف عابد العالم يستنقذ عباد الله من الضلالة إلى الهدى، والعابد يوشك أن يقدح الشك في قلبه فإذا هو في وادي الهلكات)، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سلك طريقاً يطلب فيها علماً سلك اللّه به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإنه ليستغفر لطالب العلم من في السموات ومن في الأرض حتى حيتان البحر وهوام البر وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))، وقال عليه السلام: (تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث(1) عنه جهاد وإفادته

---

(1) . الحث عليه. نخ

صدقة وبذله لأهله قربة وهو معالم الحلال والحرام ومسالكه سبيل الجنة)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((النظر إلى البيت الحرام عبادة والنظر في كتاب اله عبادة والنظر في وجه العالم الطالب بعلم الله جل ذكره عبادة والجلوس في المسجد اعتكاف))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل: آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع))، وفي أمالي المرشد بالله عنه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((يسير الفقه خير من كثير العبادة وخير أعمالكم أيسرها))، وفيها قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من جاءته منيته وهو يطلب العلم ليحي به الإسلام فمات على ذلك فبينه وبين الأنبياء عليهم السلام درجة واحدة)) وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((للأنبياء على العلماء فضل درجتين والعلماء على الشهداء فضل درجة)) وفيها جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أي الناس أعلم؟ قال: ((من يجمع علم الناس إلى علمه)) وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من حفظ على أمتي أربعين حديثاً فيما ينفعهم من أمر دينهم بعث يوم القيامة من العلماء وفضل العالم على العابد تسعين درجة الله أعلم ما بين كل درجتين)) وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الله أجود الأجواد وأنا أجود بني آدم وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشره يبعثه الله يوم القيامة أمة واحده))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من طلب العلم تكفل الله برزقه))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((تعلموا ما شئتم إن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((علم لا يقال به ككنز لا ينفق في

سبيل الله))، وفيها قال علي عليه السلام: (حق العالم عليك أن تسلم على القوم وتخصه بالتحية دونهم وأن تجلس أمامه ولا تشربن عنده بيدك ولا تغمزن بعينك ولا تقولن له قال

فلان خلافاً لقوله ولا تغتابن عنده أحد ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه إذا كل ولا تعرض من طول صحبته إنَّما هو بمنزلة النخلة فتنتظر متى يسقط عليك شيء، وإن المؤمن العالم لأعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله عز وجل). قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوْبُهُم مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِيْنٍ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيْثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُوْدُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُوْدُهُم وَقُلُوْبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ} المعنى: ويل كلمة عذاب ومن ذكر الله أي عن ذكر الله ممتنعة عن قبول حق الله وكلما تلي ازداد المبطلون قساوة وفي ضلال أي في ذهاب عن الحق، وأحسن الحديث القرآن يشبه بعضه بعضاً مردد ومكرر قصصه وأحكامه ووعده ووعيده، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم أي تنقبض وتحرك عند سماع تلاوته ووعيده، ثُمَّ تلين جلودهم يذهب تقبضها واقشعرارها، وقلوبهم إلى ذكر الله أن تسكن وتطمئن بعد ذلك وعند ذكر وعده ورحمته وجوده. وعن علي عليه السلام: (من قرأ القرآن وحفظه وظن أن أحداً أوتي مثل ما أوتي فقد عظم ما حقر الله وحقر ما عظم الله)، وعن علي عليه السلام: (إن صاحب القرآن ليسأل عما يسأل عنه الأنبياء صلى عليهم وسلم إلاَّ أنَّه لا يسأل عن الرسالة)، وقد مر صفة أصحاب علي عليه السلام حيث مروا بآيةِ وعيد وصفتهم عند آية الوعد. قوله تعالى: {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلاَّ الذين صبروا وما يلقاها إذا ذو حظ عظيم} المعنى: ومن

أحسن أي لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله أي إلى دينه وطاعته وعمل صالحاً فيما بينه وبين الله وقال إنني من المسلمين أي جعل دين الإسلام مذهبه، وهذه عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث. قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أفضل الأعمال بعد الصلاة المفروضة والزكاة الواجبة وحجة الإسلام وصوم شهر رمضان الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عدل الأمر بالمعروف الدعاء إلى الله في

سلطان الكفر، وعدل النهي عن المنكر الجهاد في سبيل الله، والله لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها))، قوله: {ولا تستوي الحسنة ولا السيئة} في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض فالحسنة تتفاوت إلى أحسن وكذلك السيئة (ادفع السيئة بالتي هي أحسن فالإساءة بالعفو الذي هو حسنة والتي هي أحسن أن يحسن إليه، والذم بالإحسان وهو المدح فإذا فعلت ذلك انقلب عدوك مثل الولي، وما يلقى هذه الخصلة التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلى المسيء فما يعطاها إلاَّ الذين صبروا على الغيظ وكظموه وعلى مخالفة الهوى، ثُمَّ عظم هذه الخليقة بقوله تعالى: {وما يلقاها إلاَّ ذو حظ عظيم} ولنتبرك هنا بذكر هذا الخبر الجامع من أمالي المرشد بالله عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله: أوصني. قال: ((أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك))، قلت يا رسول الله، زدني. قال: ((عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإن ذلك نور في السموات ونور في الأرض))، قال قلت: يا رسول الله، زدني. قال: ((لا تكثر الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه))، قلت: يا رسول الله، زدني. قال: ((عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي))، قلت: يا رسول الله، زدني. قال: ((عليك بالصمت إلاَّ من خير فإنه مردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك))، قلت: يا رسول الله، زدني. قال: ((انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك))، قلت: يا

رسول الله زدني. قال: ((صل قرابتك وإن قطعوك))، قلت: يا رسول الله، زدني. قال: ((لا تخف في الله لومة لائم))، قلت: يا رسول الله زدني. قال: ((تحب للناس ما تحب لنفسك))، ثُمَّ ضرب بيده على صدري فقال: ((يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق))، انتهى. فاقتد رحمك الله بأخلاق القرآن تفز مع أولي العزم بغرف الجنان، قال تعالى لنبيه: {فاصفح الصفح الجميل}، وقال: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين}، وقال: {والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين} {ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور} وكم من نحو هذا في السنة النبوية

والكلمات العلوية وأقوال الحكماء المرضية، قال أبو العتاهية:
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم

عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

وقال غيره:
إذا طاش حلمك عن عدو
فلست إذا أخا عفو وصفح
إذا زال الرفيق وأنت ممن
إذا أنت اتخذت أخاً جديداً
فما تدري لعلك مستجير
فكم من سالك لطريق أمن

وهان عليك هجران الصديق
ولا لأخ على عهد وثيق
بلى رفق بقيت بلى رفيق
لما أنكرت من خلق عتيق
من الرمضاء فر إلى الحريق
أتاه ما يحاذر في الطريق

وقال غيره:
سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
فما الناس إلاَّ واحد من ثلاثة

فأما الذي فوقي فأعرف قدره
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن
وأما الذي مثل فإن زل أو هفا

وإن عظمت منه علي الجرائم
شريف ومشروف ومثل مقاوم
وأتبع فيه الحق والحق لازم
أجابته نفسي وإن لام لائم
تفضلت إن الحر بالفضل حاكم

وقال غيره:
لن يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا
ويشتموا فترى الألوان مسفرة

حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
لأصفح ذل ولكن صفح إكرام

قوله تعالى: {وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذي يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذي استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنَّه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنَّما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لن عزم

الأمور))، من شيء رزق وغيره من أثاث الدنيا وسماه متاعاً تنبيهاً على قلته وحقارته كمتاع الراكب الذي يتعجله لسير مع السفر كشربه سويق أو تميرات وما عند الله من الثواب في الآخرة خير مما عندكم وأبقى لأنَّه لا انقطاع له إذ ذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة حصباؤها الياقوت والزمرد ملاطها المسك الأذفر ترابها الزعفران أنهارها جارية وثمارها متدلية وأطيارها مرنة ليس فيها شمس ولا زمهرير لكل رجل من أهلها ألف حوري يمكث مع الحوري من حورها ألف عام لا تمله ولا يملها، وإن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يغدى عليه ويراح بعشرة آلاف صفحة في كل صفحة لون من الطعام له رائحة وطعم ليس للآخر، وإن الرجل من أهل الجنة ليكون في جنة من جنانه بين أنواع الشجر إذ يشتهي ثمره من تلك الثمار فتدلى إليه فيأكل منها ما أراد ولو أن أي حوراء من حورهم برزت لأهل الأرض لأغشت ضوء الشمس ولافتتن بها أهل الأرض))، وقال علي عليه السلام: (بادروا بأعمالكم تكونوا من جيران الله في داره رافق بهم رسله وأزارهم ملائكته وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبداً، وصان أجسادهم أن تلقى لغوبها ونصباً) ثُمَّ بين تعالى أن هذه الخيرية لمن اتصف بصفات: الأولى: الإيمان، الثانية: أن يكون من المتوكلين على فضل الله مفوض

أمره إليه دون خلق، الثالثة: أن يكون من المجتنبين لكبائر الإثم والفواحش، سئل علي عليه السلام: ما الكبائر؟ فقال عليه السلام: (قتل النفس المؤمنة وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وشهاد الزور وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واليمين الغموس) انتهى. ومن الكبائر ما توعد الله عليه بالنار والفواحش ما تزايد قبحه كالزنا. الرابعة: وإذا ما غضبوا هم يغفرون أي يتجاوزون لأن الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته صعبة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما تعدون الصُّرَعَةَ فيما بينكم؟ قالوا: الذي لا يصرعه الرجل، قال: لا ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من رد غضبه دفع الله عنه عذابه)). الخامسة قوله: {والذين استجابوا لربهم}

المراد تمام الإنقياد لما دعا إليه من الدين. السادسة: قوله: {وأقاموا الصلاة}. السابعة: قوله: {وأمرهم شورى بينهم}، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لامظاهرة أوثق من المشاورة))، وقال علي عليه السلام: ((من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها ومن استقبل وجوه الأراء عرف مواقع الخطأ فكن من الذين لا يعجلون قبل المشاورة}. الثامنة: قوله: {ومما رزقناهم ينفقون} أي في طاعة الله وفي أمالي المرشد أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: ((أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس يكشف عنه كربة أو يقضي عنه ديناً أو يطرد عنه جوعاً؛ ولأن أمشي مع أخٍ لي في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد ـ مسجد المدينة ـ شهراً ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام)). التاسعة: قوله تعالى: {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون} فإذا أصابهم ظلم في دينهم أو

أموالهم أو دمائهم لم يتركوا النصرة حتى يثبتوا الحق ويزيلوا الباطل ولم يذلوا أنفسهم للبغاة الظلمة. قوله تعالى: {وجزاء سيئة سيئة مثلها} فله المكافأة إلاَّ فيما حرم الشرع كفاحشة يأتيها فاسق في حرمة مؤمن إلاَّ أن العفو وترك المكافأة وإصلاح الود بينه وبين المعفو عنه أفضل لقوله تعالى: {فأجره على الله} وهذه عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم أي فله من جزيل الثواب مالا يبلغه وصف واصف، ثُمَّ قال تعالى: {إنه لا يحب الظالمين} بل يبغضهم وهم البادين وفيه إشارة إلى أن الإنتصار لا يؤمن فيه الإعتداء خاصة حال الغضب، ثُمَّ ذكر المنتصر فقال: {ولمن انتصر بعد ظلمه} أي يفعل به مثل ما فعل به ظالمه فالمنتصرون ما عليهم من سبيل أي من طريق للعقوبة ولا للذم إنَّما السبيل على الذين يبدأون بالظلم ويبغون في الأرض بالنكير فيها والفساد بغير الحق أي بالمعاصي أولئك لهم عذاب أليم شديد، ثُمَّ لما كان الصبر والعفو أفضل وأحسن أكد بقوله: {فمن عفا

وأصلح}، وقوله: {فأجره على الله} وقوله: {ولمن صبر} أي على الظلم والأذى غفر أي عفى ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله، وقوله: {إن ذلك لمن عزم الأمور} أي معزوماتها ومقطوعاتها التي قطع بحسنها. قوله تعالى: {إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم} أي ما المؤمنون إلاَّ أخوة في الدين، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل: ((وجبت محبتي للذين يتحابون في ويتباذلون في ويتزاورون في))، وقال صلى الله

عليه وآله وسلم: لما نزلت هذه الآية: {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً ألا بذكر الله فتحابوا))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يسلمه في مصيبة إن نزلت به))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من حمى مسلماً عن منافق أراه قال: بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، من رمى مسلماً بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن المتحابين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء على رأس العمود سبعون غرفة يضيء حسنهن على أهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة: انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب خضر من سندس بين أعينهم مكتوب على جباههم: هؤلاء المتحابون في الله عز وجل))، وفي أمالي المرشد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((منزلة المؤمن من المؤمن منزلة الرأس من الجسد متى اشتكى الجسد اشتكى له الرأس ومتى

اشتكى الرأس اشتكى سائر الجسد))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله عز وجل))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه))، وفي المخوة في الله أخبار غير هذه. ثُمَّ قال تعالى: {فأصلحوا بين أخويكم} أي إذا تنازعا، قيل: وخص الإثنان لأن أقل ما يقع الشقاق بين اثنين فإذا لزمت المصالحة في

الأقل كانت بين الأكثر ألزم لعظم الفساد فيه.

ثُمَّ قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم} وهو الإزدراء والسخرية والإحتقار إذ من حق المخوة أن تحب للمؤمن ما تحب لنفسك عسى أن يكون المسخور بهم خيراً منهم عند الله والإعتبار بتطهير البواطن وخلوص الضمائر، {ولا نساء من نساء} ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يلمز بعضكم بعضاً، واللمز الطعن والضرب باللسان أي لا يطعن بعضكم على بعض أي لا يعب بعضكم بعضاً ولا تنابزوا أي تداعوا بالألقاب أي بلقب يكرهه المدعو به بئس للذم الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس السخرية واللمز والتنابز؛ لأنَّه فسق يستنكروه عادة بعد أن كان النابز والمنبوز مؤمنان فشأن المؤمنين الحب والتوادد، ثُمَّ قال تعالى: {ومن لم يتب} عن هذه المناهي فأولئك هم الظالمون. قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من استذل مؤمناً أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله يوم القيامة ثُمَّ يفضحه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يقول الله: من أهان لي ولياً فقد برز لمحاربتي)) ويكفي في هذا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لعن آكل الربا ومؤكله وبائعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه وأنه صلى الله عليه وآله وسلم خصم آكل الربا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أربا الربا الإستطالة في عرض مسلم بغير حق))، فلا

قوة إلاَّ بالله، لكن المرء يستعين على أداء حق المخوة وترك إذى المؤمن بالله فإنه خير معين ويذكر ما ورد في ذلك وأنه مجازى بعمله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أتاني جبريل فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجازى به واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس))، ثُمَّ قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن} لأن الظن هو السبب فيما تقدم وهو ظن السوء بمن ظاهره الصلاح إن بعض الظن إثم وهو كل ظن بلا أمارة صحيحة فيمن ظاهره الصلاح. ولنذكر

ما قال أمير المؤمنين لجمعه ما سبق وما سيأتي معنى ذلك قال عليه السلام: (إنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم فكيف بالعائب الذي عاب أخاه وعيره ببلواه إما ذكر موضع ستر الله سبحانه عليه من ذنوبه ما هو أعظم من الذنوب الذي عابه به وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه وأَيم لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أكبر، يا عبد الله لا تعجل في عيب عبد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليها فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلي به غيره، أيها الناس، من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال أما إنَّه قد يرمي الرامي وتخطي السهام ويحيك الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد، أما إنَّه ليس بين الحق والباطل إلاَّ أربع أصابع، فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثُمَّ قال: الباطل أن تقول: سمعت والحق أن تقول رأيت)، وقال عليه السلام: (قابل هواك بعقلك وكفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون)، وقال عليه السلام: (إذا

استولى الصلاح على الزمن وأهله ثم أساء رجل الظن برجل فقد غرر) (1) وقال: (اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم)، ثم قال تعالى: {ولا تجسسوا}، تماماً لما سبق لأنه تعالى لما قال: {اجتنبوا كثيراً من الظن} فهم منه أن المعتبر اليقين أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها بعد معرفتكم لوثيقة دينهم. وفي أمالي المرشد قال: ((يا

(1) . أي حمل نفسه على الغرر وهو الخطأ. تمت أعلام.

معشر من أسلم ولما يدخل الإيمان في قلبه لا تذموا المسلمين ولا تطلبوا عوراتهم فإن من طلب عورة أخيه المؤمن هتك الله ستره وأبدى عورته ولو كان في ستر بيته))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من ستر أخاه المسلم ستر الله عليه يوم القيامة))، وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدينا والآخر والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيها علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وما قعد قوم في المسجد يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه))، ثم قال تعالى:{ولا يغتب بعضكم بعضاً}، أي لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه وفي الآية تشديد في قبحها من حيث أسند الفعل إلى أحد فقال: {أيحب أحدكم}، والمراد أن أحداً من الأحدين لا يحب ومنها التمثيل بأكل لحم الأخ لأن ذلك أفضع من لحم غيره ومنها أن جعل التمثيل بأكل لحمه ميتاً، وقوله تعالى: {فكرهتموه}، أي كما كرهت ذلك فاكره عيبة أخيك وهو حي،

وسأل رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما الغيبة يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع، قال يا رسول الله: وإن كان حقاً؟ فقال رسول الله: إذا قلت باطلاً فذاك البهتان))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الغيبة أشد من الزنا قيل وكيف ذاك يارسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الإله عليه وإن صاحب الغيبة لا

يغفر له حتى يغفر له صاحبه))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم للرجلين الذين اغتابا ما عزا حين رجم: ((فأجازا بجيفة حمار شاغر برجله فقال لهما: انزلا فأصيبا من هذا الحمار)) فقالا: يارسول اللّه أنأكل الميتة؟ فقال: ((لما أصبتما من صاحبكما آنفاً أعظم من أصابتكما هذه الجيفة إنه الآن ليتقمص في أنهار الجنة)). ثم قال تعالى: {واتقوا الله إن الله تواب رحيم}، أي اتقوا عقابه باجتناب ما نهيتم عنه والندم على ما وجد منكم فإنه قابل توبة التائبين. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((كفارة الإغتياب أن تستغفر الله لمن اغتبته))، وقوله تعالى: {إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم أنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم}، جنات أي بساتين وعيون أنهار آخذين أي قابلين راضين بما أعطاهم في الجنة، وقال زيد بن علي: آخذين ما آتاهم معناه الفرائض، إنهم كانوا قبل دخولهم الجنة محسنين في الدنيا ثم فسر الإحسان بقوله: {كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون}، أي بعضاً قليلاً ما يرقدون ويعبدون الله أكثره وبالأسحار هم يستغفرون وهو آخر الليل وكان زين العابدين يستغفر الله تعالى في قنوت الوتر سبعين مرة ثم قرأ: {والمستغفرين بالأسحار}، وفي أمالي المرشد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ياعلي: عليك بصلاة السحر والإستغفار بالمغرب فإن صلاة السحر والإستغفار شاهدان من شهود الرب على خلقه))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه فلا يبق مسلم

يدعو بدعوة إلا استجاب الله له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشار))، وفيها سئل صلى الله عليه وآله وسلم: أي الليل أجوب دعوة؟ قال: ((جوف الليل))، وفيها سئل صلى الله عليه وآله وسلم: لم أخر يعقوب بنيه إلى السحر؟ قال: ((لأن

الدعاء في السحر مستجاب))، وقال علي عليه السلام: ((وأيم الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً ولأدَعَنَّ مقلتي كعين ماءٍ نضب معينها مستفرغة دموعها أتمتلي السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الأرض من عشبها فتربض ويأكل على من زاده فيهجع قرت إذا عينه إذا أفنته بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت بالليل غمضها حتى إذا غلب الكراء عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر سهر عيونهم خوف المعاد وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهَمْهَمَتْ بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم))، قال تعالى: {وفي أموالهم حق معلوم}، أي نصيب للسائل والمحروم الذي لا يسأل حياء وعفة. وفي أمالي المرشد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)). قوله تعالى: {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق))، أي ألم يحن أن تخشع أي تلين قلوبهم لذكر الله وتذل من خشيته وذكر الله قيل مواعظه التي في القرآن وقيل لذكرهم الله أي يجب أن يورثهم الذكر خشوعاً ولا يكونوا كمن يذكره بالغفلة فلا يخشع قلبه وما نزل من الحق وهو القرآن ويصح أنه المراد بالذكر لجمعه الأمرين الذكر والنزول وأن المراد بذكر الله ذكر عقابه وفي أمالي المرشد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الناس في القرآن ثلاثة فرجل يقرؤه بلسانه ولا يسوغ به الحنجرة فهو له إصر وعذاب وعقاب، ورجل يقرؤه فخراً ورياء ليأكل به في دنياه فليس له منه يوم القيامة شيء، ورجل يأخذه بسكينة ووقار فهوله حجة يوم يلقى ربه))، قوله تعالى: {واعلموا أنما الحياة

الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب

شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور سابقوا إلى مغفرة من بكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل اله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل إن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتولى فإن الله هو الغني الحميد}، المعنى: إن كل ما عدا الأعمال الصالحة فهوا لعب ولهو والمقصود من الآية تحقير حال الدنيا وتعظيم حال الآخرة فقال: الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ولا شك أن هذه الأشياء حقيرة وأما الآخرة فهي عذاب شديد أو رضوان الله على سبيل الدوام وذلك عظيم فوصفها سبحانه بأوصاف: أولها ـ لعب وهو فعل الصبيان الذين يتعبون أنفسهم ثم أن تلك المتاعب تنقضي من غير فائدة. ثانيها ـ لهو وهو فعل الشباب والغالب أن بعد انقضائها لا تبقى إلا الحسرة وذلك أن العاقل بعد انقضائها يرى المال ذاهباً والعمر ذاهباً واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقاً إليها مع فقدانها فيكون المضار مجتمعه. وثالثها ـ أنها زينة وهذه من دأب النساء. ورابعها ـ تفاخر بينكم بالصفات الفانية، وخامسها ـ تكاثر في الأموال والأولاد ، أي الإشتغال فيها بذلك وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الأخرة فلا وجه يبتغيه أهل الدنيا يخرج عن هذه الأقسام وبين أن حالها إذا لم يخل عن هذه الوجوه يجب أن يعدل عنها إلى ما يؤدي إلى عمارة الآخرة، ثم ضرب الله مثل الحياة الدنيا فقال تعالى: {كمثل غيث}، أي مطر أعجب الكفار، أي الزراع نباته الناشيء عنه ثم يهيج ييبس فتراه مصفراً تنقلب خضرته صفرة عند يبسه ثم يكون حطاماً فتاتاً أسود لشدة يبسه يضمحل بالرياح كذلك الإنسان يهرم ثم يموت ويترك ما كان حسن في عينه من الدنيا ثم أنه تعالى ذكر بعده حال الآخرة فقال: {وفي

الآخرة عذاب شديد}، لمن آثر عليها الدنيا ومغفرة من الله ورضوان لمن آثر الآخرة وما الحياة الدنيا أي التمتع فيها إلا متاع الغرور أي الإنتفاع مغتر وهو انتفاع يسير كعجلة الراكب وهو ما يتعجل من تميرات أي ما هي في جنب الآخرة إلا كذلك لمن أقبل عليها وأعرض عن طلب الآخرة، أما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله فنعم المتاع قال علي عليه السلام في صفة الدنيا: (ما أصف من دار أولها عَنا وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن أبصر بها بصرته ومن بصر إليها أعمته)، وقال عليه السلام: (أحذركم الدنيا فإنها حلوه خضرة حُفَّتْ بالشهوات وتَحَبَّبَتْ بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حَبْرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة أكالة غَوَّالَةٌ لا تعتدوا إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها ان تكون كما قال سبحانه: {كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح}، لم يكن امرؤ فيها منها في حيرة إلا أعقبته بعدها عبرة ولم يلق في سَرَّائِها بطناً إلا منحته من ضرائها ظهراً ولم تطل له فيها ديمة رخاء إلا هتنت عليه مزنة بلاء وحري إذا أصبحت له متنصرة إن تمسي له متنكرة وإن جَانِبٌ منها اعذوذب واحلولى أَمَرَّ منها جانب فأَوبى لا ينال أمرء من غضارتها رغباً إلا أَرهقته من نوائبها تعباً ولا يُمسى منها في جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فإن من عليها لا خير في شيء من ازوادها إلا التقوى من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة إليها قد صرعته وذي أُبَّهَة قد جعلته حقيراً وذى نخوة قد ردته ذليلاً سلطانها دُول وعيشتها رنق وعذبها أُجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام حيها

بعَرض موت وصحيحها بعَرض سقم ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب، ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً وأبقى آثاراً وأبعد آمالاً

وأعَدّ عديداً وأكثف جنوداً تعبدوا للدنيا أي تَعَبُّدٍ وآثروها أيُّ إيثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم أن الدينا سخت لهم نفساً بفدية أو أعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة بل أرهقتهم بالفوادح وأوهقتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم وأعانت عليهم ريب المنون فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حين ضعنوا عنها لفراق الأبد وهل زوَّدتهم إلا السغب أو أحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة أفهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون أم عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعملوا وأنتم تعلمون بأنكم تاركوها وضاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منا قوة حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً وجعل لهم من الصفيح أجنان ومن التراب أكفان ومن الرّفات ديران فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيماً ولا يَبالون مقربة إن جيدوا لم يفرحوا وإن قحطوا لم يقنطوا جميع وهم أحاد وجيرة وهم أبعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون حُلَمَاء قد ذهبت أضغانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم لا يخشى فَجْعُهُم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسعة ضيقاً وبالأهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤها كما فارقوها حفاة عراة قد ضعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه: {كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين}، ثم قال عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا: ((أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها بم تذمها وأنت المجترم عليها أم هي المجترمة عليك؟ متى استنهوتك أم متى غرتك أبمصارع أبائك من البلاء أم بمضاجع

أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء لم ينفع أحدهم أشفاقك ولم تسعف فيها بطلبك ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنا لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها، ومسجد أحباء الله

ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد أذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم لسرورها إلى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً فذمها رجال غداة الندامة، وحمدها آخرون يوم القيامة ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا)، وقال عليه السلام: (إن لله ملكاً ينادي في كل يوم: لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب)، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لم يبق من الدنيا إلا فتنة تنتظر أو كل محزن))، رواه في أمالي المرشد. ثم قال تعالى: {سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة}، أي بادروا وأسرعوا كأنه تعالى قال: لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه بل تكون مسابقتكم في طلب الآخرة، قال عليه السلام ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله))، وقوله: {عرضها كعرض السماوات والأرض}، أي لو وصلت أحدهما بالأخرى ولعرض السعة أعدت أي هيأت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون قوله: {ما أصاب من مصيبة في الأرض}، بالجدب والغلاء ولا في أنفسكم كالأمراض والمصائب والقتل والموت إلا في كتاب أي اللوح المحفوظ أو في علم محفوظ من قبل أن نبرأها أي نخلق الأرض والأنفس أو من قبل أن نخلق المصائب أن ذلك على الله يسير أي هين لا يعجز عنه

بل هو عالم به وبغيره ثم علل ذلك وبين وجه الحكمة فيه فقال: {لكيلا تأسوا}، أي تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم من خيرها فرح بطر قال علي عليه السلام: ((الزهد كلمة بين كلمتين قال الله تعالى: {لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكمْ}، ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه))، انتهى. لأنه من علم أنما عنده مفقود لا محالة لم يشتد حزنه عند فقده لأنه وطن نفسه على ذلك وكذا

من علم أن بعض الخير واصل إليه لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله فينبغي الفرح عند التوفيق للطاعة والعصمة من المعصية، ثم قال تعالى: {والله لا يحب}، بل يبغض: {كل مختال} متكبر بما أوتي ومعجب به فخور على الناس لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه افتخر على الناس، وقوله: {الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل}، بدل من كل مختال كأنه قال لا يحب المختال ولا يحب الذين يبخلون إذ لحبه ما أوتي وعزته عنده يبخل به ولا يكفيهم أنهم يبخلون به بل يأمرون الناس بالبخل وكل ذا منتجة فرحهم به قال علي عليه السلام: ((البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء))، ثم قال تعالى: {ومن يتول}، أي يعرض عن أوامر الله ونواهيه فإن الله الغني عنه وعن غيره الحميد أي المستوجب للحمد أو الحميد لا وليائه. فاعلم أن أمعانك النظر في هذه الآية والعمل بها يقودك إلى رضا الرحمن المجاورة له في الجنان وبذلك تنجو من النيران فاتعظ بها الزم بها. قال علي عليه السلام: ((إنما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ونهب تبادره المصائب ومع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص ولا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى ولا يستقبل يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله فنحن أعوان المنون وأنفسنا نصب الحتوف فمن أين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفاً إلا أسرعا الكرة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا))، قوله تعالى: {إن الإنسان

خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون}، ... إلى قوله: {والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرومون}، خلق هلوعاً بني وفطر على الضعف إذا مسه الشر أي أصابه جَزِعَ لضعف بنيته وإذا مسه الرخاء والنعمة والسرور فهو مانع لخيره قليل الإنفاق في مرضات ربه، ثم استثنى سبحانه من الذين نسب

إليهم هذا الخير أهل التقى والدين والهدي بقوله: {إلا المصلين}، أي المؤمنين الذين على صلاتهم مواظبون والحق المعلوم الزكاة للسائل وهو الطالب والمحروم المتعفف عن السؤال فيحرم لقلة طلبه ويوم الدين هو يوم القيامة ومشفقون أي خائفون وجلون إن عذاب ربهم غير مأمون نزوله على أهله. وفي أمالي المرشد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((التوحيد ثمن الجنة والحمد لله وفاء شكر كل نعمة وخشية الله مفتاح كل حكمة الإخلاص مِلاك كل طاعة))، وفيها عن علي عليه السلام: ((كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء))، قال: ((أعلم الناس بالله أشدهم خشية))، قوله: {والذين هم لفروجهم حافظون}، لا يجعلونها إلا في المواضع التي أحلها الله لهم من الأزواج وما ملكت أيمانهم فإنهم في ذلك غير ملومين أي معاقبين، فمن ابتغى وراء ذلك من الإستمتاع بغير الحلال كاليد وغيرها مما يستمتع به فأولئك هم العادون أي المتجاوزون الحلال إلى الحرام، والذين هم لأماناتهم أي ما ائتمنوا عليه من أمر الدنيا والدين وما عوهدوا عليه راعون حافظون مودون، والذين هم بشهاداتهم يقيمونها ولا يكتمون، وكفى بقوله تعالى زجراً في الكتم: {ومن يكتمها فإنه آثم قلبه}، ومحافظتهم على صلاتهم بأن يؤدونها كاملة في أوقاتها ثم أخبر سبحانه بما

أعد لمن كان على هذه الحالات وكان من أهل هذه الصفات فقال: {أولئك في جنات مكرمون}، قال علي عليه السلام: ((من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب)).

قوله تعالى: {فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى} [آية 41 النازعات]، طغى أي تجاوز الحد في ظلم نفسه بالمعاصي وآثر الحياة الدنيا قدمها على الآخرة باتباع الشهوات و فإن الجحيم هي المأوى أي مأواه ومنزله ومحله قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((هل منكم من يريد أن يعطيه الله علماً بغير تعلم؟ هل منكم من يريد أن يعطيه الله هدى بغير هداياه؟ هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً؟ إلا إنه من زهد في الدنيا وقصر

فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية، ألا وإنه من رغب في الدنيا وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها)) وقال علي عليه السلام: (طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة أولئك الذين اتخذوا أرض الله بساطاً وترابها فراشاً وماؤها طهوراً وجعلوا القرآن شعاراً والدعاء دثاراً وقرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عليه السلام)، وفي أمالي المرشد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تزول قدما ابن آدم من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وشبابه فيما أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه وماذا عمل فيما علم))، وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((يؤتى بصاحب العلم يوم القيامة في تابوت من نار مقفل عليه بأقفال من نار فينظر قلمه فيما أجراه فإن كان أجراه في طاعة الله ورضوانه فك عنه التابوت وإن كان أجرى به في معصية الله هوى به التابوت سبعين خريفاً حتى بارى القلم ولائق الدواة))، وقال علي عليه السلام: (يأيها الناس: متاع الدنيا حطام موبي فاجتنبوا مرعاه قلعتها أحظى من طمأنينتها وبلغتها أزكى من ثروتها حكم على مكثريها

بالفاقة وأعين من غني عنها بالراحة من راقه زِبْرِجْها اعقبت ناظريه كَمَها ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره أشجاناً لهن رفص على سويداء قلبه هم يشغله وهم يحزنه كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعاً أبهراه هيناً على الله فناؤه وعلى الأخوان إلقاؤه إنما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الإعتبار ويقتات منها ببطن الإضطرار ويسمع فيها بإذن المقت والإتعاظ إن قيل أثرى قليل أكدى وإن فرح له بالبقاء حزن له الفناء هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون). قوله: {وأما من خاف مقام ربه}، أي موقفه الذي تقوم فيه العباد للحساب ونهى النفس الأمارة عن الهوى المردي باتباع الشهوات فإن الجنة هي المأوى. والحاصل: إن المطيع في الجنة والعاصي في النار. وفي أمالي المؤيد بالله عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما خلق الله الجنة قال يا جبريل: إذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره ثم قال: إذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال يا

رب: لقد خشيت ألا يدخلها أحد، قال: ولما خلق الله النار قال يا جبريل: اذهب فانظر إليها فقال لا يسمع بها أحد فيدخلها وحفها بالشهوات ثم قال إذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال يا رب وعزتك لقد خشيت ألا يبقى أحد إلا دخلها))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت هانت عليه اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي: ما من هم إلا وله فرج إلا هم أهل النار، وما من نعيم إلا وله زوال إلا نعيم أهل الجنة فإذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها سريعاً وعليك بصنائع الخير فإنها تدفع مصارع الشر))، قوله تعالى: {والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}، والعصر أي الدهر أو آخر النهار أو صلاة العصر لفضلها أقسم الله تعالى إن

الإنسان أي كل مكلف في خسر في تجارته قال تعالى: {إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين}، وهذه السورة فاجعة وآياتها رايعة حقيق لها أن تحترق الأفئدة بنيران الخوف الموقدة وأن تصرف الهمم إلى الخلوص من الخسران والإستعانة على ذلك بالرحيم المنان إذ قد حكم سبحانه على الكافة بالخسارة والوقوع في الشقاوة واستثنى من اتصف بأربع صفات: الأولى ـ قوله تعالى: {إلا الذين آمنوا}، وقد قال علي عليه السلام: (الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد .... الخبر)، وقد مضى. وقال علي عليه السلام: (الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان)، وروى في أمالي المرشد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله. الثانية ـ قوله: {وعملوا الصالحات}، وهي الصلوات الخمس وكل عمل واجب. الثالثة ـ قوله: {وتواصوا بالحق}، أي بالأمر الثابت وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله وكل ما عد الضلال لقوله تعالى: {فماذا بعد الحق إلا الضلال}، الرابعة ـ قوله تعالى: {وتواصوا بالصبر}، عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلوه الله عباده وعلى ما

ابتليوا به من أذى العباد وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته عنده مكتوبة))، وقال علي عليه السلام: (يا ابن آدم: كن وصي نفسك واعمل في مالك ما تؤثر أن يعمل فيه من بعدك).

هذا وأنا موصي نفسي وذريتي وقرابتي وجميع كافة المؤمنين والمؤمنات من في عصري ومن سيوجد من الجميع إلى يوم الدين بما تضمنه هذا الكتاب وبما أوصى به أمير المؤنين ولده الحسن سبط رسول رب العالمين صلوات الله عليهم أجمعين:

قال عليه السلام: (أوصيك بتقوى الله أي بني ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والإعتصام بحبله وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به أحيي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوه باليقين، ونوره بالحكمة، وذلِله بذكر الموت، وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا، وضرره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة وحلوا ديار الغربة وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيمالا تعرف والخطاب فيما لم تكلف، وامسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال، وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض الغمرات إلى الحق حيث كان، وتفقه في الدين، وعود نفسك التصبر على المكروه، ونعم الخلق التصبر، وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك فإنك تلجيها إلى كهف حريز ومانع عزيز، واخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان، واكثر الإستخارة، وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنها صفحاً فإن خير القول ما نفع.

واعلم: أنه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه، أي بني إني لما رأيتني قد بلغت سناً ورأيتني أزداد وهناً بادرت بوصيتي إليك وأوردت خصالاً منا قبل أن يعجل بي

أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي وأن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي أو تستبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه، أي بني: إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضره فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق واجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية، وإن ابتدؤك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه لا أجاوز ذلك بك إلى غيره، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم فكان أحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك وإن يهديك لقصدك فعهدت إليك وصيتي هذه. وأعلم: يا بني أو احب ما أنت آخذ به إلي من وصية تقوى اللّه والاقتصار على ما فرضه اللّه عليك والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك والصالحون من أهل بيتك فإنهم لم يدعوا النظر لأنفسهم كما أنت ناظر وفكروا كما أنت مفكر ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والإمساك عما لم يكلفوا فإن أبت نفسك

أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وابدأ قبل نظرك في ذلك بالإستعانة بإلهك والرغبة إليه في توفيقك وترك كل شائبة أولجتك في شبهة أو أسلمت إلى ضلالة، فإذا أيقنت أن قد صفاء قلبك

فاخشع وتم رأيك فاجتمع وكان همك في ذلك هماً واحداً فانظر فيما فسرت لك وإن أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم أنك إنما تخبط العشو وتورط الظلماء وليس طالب الدين من خبط أو خلط والإمساك عن ذلك أمثل، فتفهم يابني وصيتي.

واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة وأن الخالق هو المميت وإن المفني هو المعيد وإن المبتلي هو المعافي وإن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والإبتلاء والجزاء في المعاد أو ماشاء مما لا نعلم فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فإنك أول ما خلقت خلقت جاهلاً ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويظل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك وليكن له تعبدك وإليه رغبتك ومنه شفقتك.

واعلم يا بني أن أحداً لم ينبئ عن الله كما أنبأ عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرضى به رائداً وإلى النجاة قائداً فإني لم ألك نصيحة وإنك لم يتبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت مبلغ نظري لك.

واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت أثر ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه إله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه أحد ولا يزول أبداً ولم يزل أولاً قبل الأشياء بلا أوليه وآخراً بعد الأشياء بلا نهاية عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فإنه لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح. يا بني: إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها وضربت لك فيهم الأمثال لتعتبر بها وتحذوا عليها، وإنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً فاحتملوا عثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة

السفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دراهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً ولا يرون نفقة فيه مغرماً ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم وأدناهم من محلهم، ومثل من اغتربها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبابهم إلى منزل جديب فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه يا بني: إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل مالا تعلم وإن قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب، فاسع في كدحك ولا تكن خازناً لغيرك، وإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك.

واعلم: أن أمامك طريق ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وأنه لا غنى لك فيه عن حسن الإرتياد قدر بلاغك من الزاد من خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك، وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاه لك في يوم عسرتك واعلم أن أمامك عقبة كؤود المخف فيها أحسن حالاً من المثقل والمبطي عليها أقبح حالاً من المسرع وأن مهبطك بها لا محالة على جنة أو على نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطيء المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا إلى الدنيا منصرف.

واعلم: أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة وأمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك ولم يجعل بينك وبين من يحجبه عنك ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يعيرك بالإنابة ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ولم

يناقشك بالجريمة ولم يؤسيك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشراً وفتح لك باب المتاب فإذا ناديته سمع نداك وإذا ناجيته علم نجواك ومتى شئت دعوته فلباك فافضيت إليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك وشكوت إليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على أمورك وسألته من خزائن رحمته مالا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان وسعة الأرزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمة واستمطرت شئآبيب رحمته فلا يقنطنك إبطاء إجابته فإن العطية على قدر النية وربما أخرت عنه الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجر العطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً أو صرف عنك لما هو خيرلك فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته فلتكن مسائلتك فيما يبقى لك جماله وينفي عنك وباله والمال لا يبقى لك ولا تبقى له.

واعلم: أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة وإنك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق إلى الآخرة وإنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا بد أنه مدركه فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك، يا بني أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتقضى بعد الموت إليه فاجعله أمامك كأنك تراه حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك وشددت له إزرك ولا يأتيك بغتة فينهرك وإياك أن تغتر بما ترى من أخلاد أهل الدنيا إليها وتكالبهم عليها فقد نبأك الله عنها ونعتت هي لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها واذكر الآخرة وما فيها من النعيم المقيم والعذاب الأليم فإن ذلك يزهدك في الدنيا ويصغرها عندك فلا تركن إليها فإنما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضاً ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة وأخرى مهملة قد أظلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بوادوَعْثٍ ليس لها راع يقيمها ولا مقيم يسيمها

سلكت بهم الدنيا طريق العمى وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها رباً فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويداً يسفر الظلام كأن قد وردت إلا ضعان يوشك من أسرع أن يلحق.

واعلم: أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان واقفاً ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وَادِعاً فاعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك وأن الله تعالى قد أذن في خراب الدنيا وعمارة الآخرة فإن زهدت فيما زهدتك فيه ورغبت فيما رغبتك فيه فأهل ذلك أنت وإن كنت غير قابل نصحي فاعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك وأنك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب وأجمل في المكتسب فإنه رب طلب جر إلى حَرَبٍ فليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروز وأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً وما خير خير لا يوجد إلا بشر ويسر لا يتأتى إلا بعسر وإياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلك وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فإنك مدرك قسمك وآخذ سهمك وإن اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كل منه.

واعلم: أنك لست بائعاً شيئاً من دينك وعرضك بثمن وإن جل إلا كنت مغبوناً والمغبون من غبن نصيبه من الله، خذ من الدنيا ما أتاك وتول عما تولى عنك وإن أنت لم تفعل فاجمل في الطلب وإياك ومقاربة من ترهبة على دينك وعرضك تباعد من السلطان الجائر ولا تأمن خدع الشيطان فتقول متى أنكرت أو علمت أو تشفعت أجرت فإنه هكذا هلك من كان قبلكم إن أهل القيلة أيقنوا بالمعاد ولو سمعت أحدهم يبيع آخرته بدنياه لم يَفعل ولم تطب بذلك نفساً ثم قد يختله الشيطان بخدعه ومكره حتى يورطه في هلكته بغرض من الدنيا يسير حقير وينقله من شيء إلى شيء حتى يؤيسه من رحمة الله تعالى فيجد الراحة إلى ما يخالف الإسلام وأحكامه فإن أبَتْ نفسك إلا حب الدنيا وقرب السلاطين وخالتك

عما فيه رشدك فأملك عليك لسانك فإنه لا بَقِيّه للملوك عند الغضب ولا تسأل عن أخبارهم ولا تنطق باسرارهم ولا تدخل فيما بينهم وفي الصمت سلامة من الندامة وتلافيك فيما فرط من صمتك أيسر من إدراك ما فات من نطقك واحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يديك أحب إليك من طلب ما في يد غيرك ولا تحدثن إلا عن ثقة فتكون كذاباً والكذب ذل وحسن التدبير مع الكفاف أكفالك من الكثير مع الإسراف ومرارة اليأس خير من الطلب إلى لئام الناس والعفة مع الحرفة خير من الغناء مع الفجور والمرء أحفظ لسره ورب ساع فيما يضره من أكثر أهجر ومن تفكر أبصر خير حظ المرء قرين صالح قارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبن عنهم لا يغلبن عليك سوء الظن بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف أفحش الظلم، الفاحشة كاسمها، التصبر على المكروه يعصم القلب، وربما كان الدواء داء والداء دواء، إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً، سوف يأتيك ما قدر لك، رب يسير أنمى من كثير، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ربما نصح غير الناصح، وغش المستنصح، إياك والإتكال على المنى فإنها بضائع النوكاء، وفي تركها خير الدنيا والأخرى، ذَكِّ قلبك بالأدب كما

يذكى النار بالحطب، لا تكن كحاطب الليل، وغثاء السيل، كفر النعمة لوم، وصحبة الجاهل شؤم، العقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك، بادر الفرصة قبل أن تكون غصة، من الحزم العزم، سبب الحرمان التواني ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يؤب، من الفساد إضاعة الزاد، وهو مفسدة للمعاد، لكل أمرء عاقبة، رب أديب مفرط، رب ساع مضيع، التاجر مخاطر، لا خير في معين مهين، ولا في صديق ضنين، لا تبيتن في أمر على غرور، من حلم ساد، ومن تفقه ازداد، لقاء أهل الخيرات عمارة القلوب، إياك أن تجمح بك مطية اللجاج، إن فارقت سيئة فعجل لها توبة، لا تخن من أئتمنك وإن خانك، ولا تذع سره وإن أذاع سرك، لا تستوثق بثقة رجاء، لا تخاطرن بشيء رجاء أكثر منه، جد بالفضل وأحسن البذل، قل للناس حسناً، قل ما تسلم ممن تسرعت إليه، أو تندم إن

تفضلت عليه، من الكرم الوفاء بالذمم، الصدود آية المقت، الإنقباض يجلب العدواة والخلطة تورث المحبة، كثرة العلل آية الملل، من الكرم صلة الرحم، والتجني وجه القطيعة، أحمل نفسك في أخيك عند صرمه على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر، حتى كأنك له عبد، وكأنه ذو نعمة عليك، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله في غير أهله، لا تتخذن عد وصديقك صديقاً فتعادى صديقك، ولا تعمل بالخديعة فإنها خلق اللئام، وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة، لا تصحبن الإخوان بالإدهان صاحبهم بالتذكير عند الزلة، وامحضهم المودة عند الهبة، كم أخ ثقة بعث العتق بخفة ساعد أخاك على كل حال، وزل معه على الحق حيث زال، جد على عدوك بالفضل، فتسخير العدو بالإحسان إليه أحلى من الظفرين بصر صديقك وتجرع الغيظ فإني لم أرَ جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذ مغبة لِنْ لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك، تفضل على عدوك فإنه أحد الظفرين، وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من

نفسك بقية ترجع إليها، أن بدا لك يوماً ما، من ظن بك خيراً فصدق ظنه، ما أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد الإحسان، والعداوة بعد المودة، ولا تضيع حق أخيك اتكالاً على ما بينه وبينك، فإنه ليس بأخ لك من أضعت حقه، لا ترغبن فيمن زهد فيك، لا يكون أهلك أشقى الناس بك، لا يكون أخيك أقوى على قطيعتك منك على مواصلته، ولا على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا على البخل أقوى منك على الجود، ولا على التقصير أقوى منك على التفضل، وليس جزاء من سرك أن تسوؤه، لا يكبرن عليك ظلم من ظلم فإنما سعى في مضرته ونفعك، الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك وإن أنت لم تأته يأتك، والزمان يومان يوم لك ويوم عليك، فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تقدر على دفعه بقوتك، ما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى، ما أقبح المعصية عند من لم يزل بره عندك، إنما لك من دنياك ما أصلحت ما

به مثواك، وإن كنت جازعاً على ما ينفلت من يدك فاجزع على كل ما لم يصل إليك، استدلل على ما لم يكن بما قد كان فإن الأمور أشباه، لا تكون ممن لا ينتفع بالموعظة إلا إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتعظ بالأدب، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب، اعرف حق من عرفه لك، رفيعاً كان أو وضيعاً، استعد للموت واطرح واردات الهموم بعزائم الصبر، وحسن اليقين، من تعدى الحق ضاق مذهبه، من اقتصر على قدره كان أبقى له، أوثق سبب ما بين الله وبينك، ليس كل عورة تظهر، ولا كل فرصة تصاب، ربما أخطأ البصير قصده، وأصاب الأعمى رشده، أخر الشر فإنك إن شئت تعجلته، قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل، نعم حظ المرء القنوع، شر أخلاق المرء الحسد، في القنوط التفريط، الشح يجلب الملامة، الصديق من صدق غيبه، الهوى شريك العمى، من التوفيق الوقوف عند الحيرة، طارد الهم اليقين، رب بعيد أقرب من قريب، الغريب من ليس له حبيب، أوثق العرى التقوى، من اعتبك فهو منك، من لم يبالك فهو عدوك، قطيعة الجاهل مصلحة،

بر الوالدين كرم، المخافة شر لحاف، لا خير في لذة تعقب ندماً، العاقل من وعظته التجارب، رسولك ترجمان عقلك، وليس مع الإختلاف ائتلاف، ينبي عن كل أمر دخيلته، رب باحث عن حتفه، رب هازل عاد جداً، من أمن الزمان خانه، من تعظم عليه هانه، ليس كل من رمى أصاب، إذا تغير السلطان تغير الزمان، خير اهلك من كفاك اعتذر من اجتهد، رأس الدين صحة اليقين، تمام الإخلاص تجنب المعاصي، خير المقال ما صدقته الفعال، السلامة مع الإستقامة، الدعاء مفتاح الرحمة، سل عن الرفيق قبل الطريق، والجار قبل الطريق، والجار قبل الدار، احتمل ممن أدل عليك، واقبل عذر من اعتذر إليك، أطع أخاك وإن عصاك، خذ العفو من الناس، إياك أن تذكر من الكلام قذراً، وإن تكون مضحكاً، وإن حكيت ذلك عن غيرك، عود نفسك السماح، تخير من كل خلق أحسنه، فإن الخير عادة، إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن، اكفف أبصارهن بحجابك، إياهن فشدة الحجاب خير من الإرتياب وليس خروجهن باضر من

دخول من لا تأمنه عليهن فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها إن تشفع لغيرها إياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبرية إلى الريب أقلل الغضب ولا تكثر العتاب في غير ذنب أحسن للمماليك الأدب وأحسن العفو عنهم إذا أجرموا مع العذل فإنه أشد من الضرب لمن كان له قلب وخفف الفصاص حين لا مناص واجعل لكل أمرء منهم عملاً يأخذ به فإنه أحرى ألا يتواكلوا في خدمتك أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي تطير وأصلك الذي إليه تصير فإنك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمرك وأمرهم واستعن بالله على أمرك كله فإنه أكرم معين)، انتهى.

ونسأل الله العظيم أن يصلي على محمد وآله وأن يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وأن لا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا.

والحمد لله رب العالمين وصلى جل وعلا على خاتم النبيين وعلى آله الأكرمين وعلى الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين.

قال في الأم: انتهى تلخيص هذا بعد صلاة الجمعة لعله ثالث وعشرين شهر الله المحرم سنة سبع عشرة وثلاث مائة وألف هجرية، وكان ابتداء تأليف الأنوار يوم الغدير يوم الجمعة سنة ستة عشرة وثلاث مائة وألف هجرية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد الأمين وآله الأكرمين آمين ولا حولى ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم بحمد الله